الحوار:

حول الهياكل الاساسية الثقافية

بقلم: البشير بن سلامة

صادق مجلس الوزراء أخيرا على قانون له أهميته البالغة بالنسبة الى الميدان الثقافي اذ هو يعد ، الى جانب ماتقوم به الدولة من أعمال جليلة فى هذا الحقل، بابا جديدا من أبواب احداث الهياكل الاساسية الثقافية وتعهدها وحمايتها .

فعلاوة على ما تقرر من إحداث للهياكل الاساسية الثقافية طبقا لميزانية التنمية المخولة للقطاع الثقافى ضمن المخطط السادس والتى تضاعفت ثلاث مرات بالنسبة الى ما كانت عليه فى المخطط الخامس فان القانون الجديد الذى سيناقشه مجلس النواب قريبا والذى يتعلق بالهياكل الاساسية الثقافية سيكون رافدا جديدا لميزانية الدولة فى هذا الميدان .

فلقد رأت حكومة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة أن توجد طرقا أخرى غير المرسومة فى المخطط لتمويل البناءات الثقافية بتمكين طاقات أخرى فى البلاد من المساهمة وهى الراغبة فى ذلك ولكنها لا تجد الاطار القانونى المنظم لهذه المشاركة الفعلية فى لامركزية الثقافة وديمقراطيتها .

وجاء هذا القانون فخطا خطوة أولى فى سبيل ذلك واحتوى على ثلاثة أبواب هامة : وهى مكانة التجهيزات الثقافية فى المدينة والريف ، إعانة الدولة لتشييد التجهيزات الثقافية واحصاء العقارات الثقافية وحمايتها والحفاظ عليها .

فالباب الاول يقتضى أن تشمل الامثلة الرئيسية للمدن والتهيئة الريفية وجوبا المساحات اللازمة للهياكل الاساسية الثقافية وان تشتمل أية مجموعة بناءات جديدة عند انجازها سواء كانت حيا سكنيا أو قرية أو بلدة على تجهيز ثقافي وأن تضع المؤسسات الاقتصادية على ذمة مستخدميها تجهيزات ثقافية وفى امكانها أن تتجمع فيما بينها لتكون جمعيات تتولى انجاز التجهيزات الثقافية المذكورة وتسييرها وتعهدها .

أما الباب الثانى فهو ينص على أنه يمكن للجماعات المحلية والمؤسسات الاقتصادية والجمعيات المصادق عليها أن تتحصل على مساعدة الدولة لانجاز تجهيزاتها الثقافية المعدة لتعاطى الانشطة الثقافية او انجاز اعادة تهيئتها مع استثناء المنشآت القابلة للاستغلال التجارى الصرف .

وفيما يخص الباب الثالث من القانون فهو يحتوى على ضرورة احصاء التجهيزات الثقافية والمحافظة عليها وصيانتها واستحالة استعمالها فى غير غرضها الاصلى الثقافى وارجاعها الى وضعها السابق فى حالة ازالتها أو انجاز أشغال فيها من شانها أن تغير وجهة استعمالها .

وبطبيعة الحال فان القانون ينص على جزئيات كثيرة ستصدر فى شانها نصوص تطبيقية تبين وتنظم ما لا يمكن أن يكون فى صلب قانون علاوة على ما جاء فى القانون من عقوبات تنجر لمرتكبى المخالفات فى حق التجهيزات الثقافية .

وهكذا فان هذا القانون يمكن أن يعد لبنة جديدة وهامة فى صرح الثقافة التونسية اذ هو يأتى فى سياق تقوم به الحكومة لمزيد تنظيم هذا القطاع وجعل الهياكل الاساسية الثقافية ركنا ركينا فى صرح الحضارة التونسية العربية الاسلامية وتمكين كل الميادين الحيوية فى البلاد من أن تنظر الى الناحية الثقافية نظرة جد وانه لا مناص لامة تريد أن تبنى وتشيد من اعتبار العنصر الثقافى أساسيا فى البناء الحضارى .

وهذا لا يمكن أن يكون بالنيات الحسنة ولا بالكلمات المعسولة والتحاليل العميقة فحسب بل يكون بالفعل وبالانجاز والعزيمة التى تقود الى العمل المجسم الملموس . ذلك أن بناء الصرح الثقافى ليس مقتصرا على فئة من الناس ولا جهة مسؤولة فحسب بل هو يعنى جميع القوى الحية سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ولا يعنيها بالفرجة فقط وبالاستحسان أو الاستقباح بل يهمها كطرف مساهم ومشارك فى كل مراحل بناء هذا الصرح من هياكل أساسية لازمة وخلايا ابداعية خلاقة وتنشيط منظم مسؤول .

وإنه من الطبيعى أن يجد هذا القانون الصعوبات الاعتيادية فى طريقه وأن يقف فى وجهه من المتشككين « والعقلاء » وذوى العزائم المثبطة من سيظهر من بين طياته أكثر من نقيصة وألف علة وعلة . وأنه سيجد من المتحمسين له والعاملين على قبوله من سيقدم أكثر من رأى وألف فكرة وفكرة . فنقول لهؤلاء وأولئك : اننا نرحب بآرائهم ونتقبل مقترحاتهم بكل جد وصدق وان هذا القانون ليس الا إطارا لتعبئة الطاقات كل الطاقات فى سبيل الثقافة وفى سبيل أن يجد شبابنا وكل المواطنين من دور الثقافة والمكتبات والمتاحف وقاعات السنما والنوادى وغيرها ما يملأ به فراغ وقته من أجل أن يكون مواطنا صالحا متوازن الميول مندمجا فى وطنه حرا شاعرا بمسؤوليته متحليا بالروح النقدية السليمة معرضا عن كل نزعات التخريب والتهديم ، منصرفا عن جميع نوازع الشر وسلبى المواقف .

وتونس التى تبنى الاشتراكية لبنة لبنة من دون طفرة ولا تهريج والتى تقيم صرح الديمقراطية باتزان وروية قمينة - وهى أرض الحضارات والثقافات - بأن تعطى دفعا جديدا للثقافة فى البلاد ولا يكون ذلك الا بجهد الجميع وشعور كل الفئات بالمسؤولية مهما اختلفت آراؤهم وتباينت اتجاهاتهم .

البشير بن سلامة

هل يستيقظ الضمير العالمى
ويحمى الشعب الفلسطينى من حرب الابادة ؟

في غمرة مشاغل القرن العشرين تتصدر القضية الفلسطينية مسرح الاحداث وتأخذ منعرجا مأسويا عالميا لا يهم العرب والمسلمين وحدهم بل العالم بأسره . ذلك أن هذا القرن عرف حروبا عديدة مثل الحرب العالمية الاولى والثانية وحروبا أخرى استعمارية بشعة لا محالة وأفظعها حرب فيتنام ولكن فى هذا القرن وإن لم يشهد فى الظاهر حروب الابادة مثل ابادة الهنود الحمر فى امريكا فانه شهد معركة ابادية شنتها النازية ضد اليهود وعرفت «بالحل النهائى» ، وهو الآن يحتضن ـ وأهله صامتون ـ حربا ابادية تشنها الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى ولا من ينادى بالويل والثبور وعظائم الامور .

إن الاحداث التى يمر بها الشعب الفلسطينى والشعب اللبنانى تقتضى من كل العالم ـ لا العرب والمسلمين وحدهم لأن الامر أصبح فى الواقع يتجاوزهم وليس فى مقدورهم الآن صده وهم على ما هم عليه رغم أن هذا لا يجعلهم فى حل من مسؤولياتهم ـ ان يقف الوقفة الحاسمة ليردع اسرائيل العنصرية ويرفع يدها عن الشعب الفلسطينى ويحميه من حرب ضروس تهدده بالابادة والمحق .

واذا كان المناضلون الفلسطينيون واللبنانيون الذين معهم أبلوا البلاء الحسن وبقوا طيلة هذه الاسابيع الطويلة واقفين وحدهم فى وجه الوحش الاسرائيلى ببسالة وشجاعة نادرتين فان الوقت ما زال يسمح للضمير العالمى أن يستيقظ ويقف الوقفة الحاسمة ويخلص الشعب الفلسطينى من الابادة والمحق ويفرض على الدول العظمى ، التى فى يدها وحدها مفتاح القضية ، الحل الانسانى الاسلم .

الدين والفلسفة وحقوق الانسان (*)

بقلم : محمد مزالي

انه ليطيب لى ان أفتتح الدورة الثالثة للقاء الاسلامى ـ المسيحى (*) وأن أسجل بكل اعتزاز ما يمتاز به هذا الحوار من أهمية بالغة خاصة واننى تتبعت شخصيا اللقاءين وشاركت فيهما .

ولئن حق لى ان ابتهج بوجود هذا الحوار الذى اصبح من السنن التونسية الراسخة فانه يحق لى ان ابتهج ايضا بالاختيار الراشق للموضوع المتعلق بحقوق الانسان وهو من مواضيع الساعة التى يتأكد علينا دراستها وتحليلها.

وستتمثل مساهمتى فى هذا اللقاء فى تقصي العلاقة الآجلة والعاجلة الموجودة بين الدين والفلسفة وحقوق الانسان فى المجتمعات العصرية ، وهذا يقتضى اثارة مسائل قديمة قدم العالم ولكنها مستجدة جدة الحياة . وبعبارة أخرى هل ان ما تجيب عنه الفلسفة والدين متماش مع ما يتصوره العصر عند الحديث عن حقوق الانسان والحال أن الفكرة تتجدد بتجدد السؤال الذى يثيرها ؟

وان العلوم الانسانية وتقنيات الفعل من جهة ، وايديلوجية حقوق الانسان من جهة أخرى تعتبر لدى الكثيرين من الناس الادوات المتميزة فى عصرنا القادرة على ابطال التفكير السلفى والعقيدة الدينية معا .

(*) هذا نص المحاضرة التى ألقاها الاستاذ محمد مزالى فى الملتقى الثالث الاسلامى المسيحى يوم 24 ماى 1982 .

وإن طرح المشكل بهذه الطريقة في حد ذاته دخول في « جو » وانتساب الى عقلية كانما تقادما بعض الشيء : فقد شهدت أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سيطرة العقلانية والانسية العلمية وطبعت اوربا المزهوه بتعدمها والمسلحة بعبقريتها العلمية والمعززة باختراعاتها التقنية العظيمة وبانتصاراتها العسكرية ونظام الانتاج الذى استنبطته ، طبعت تاريخ البشرية بطابعها الخاص وبذلك اصبحت الدولة - الامة ونتيجتها الطبيعية التى هى حقوق الانسان ، العناصر الكبرى لتصور جديد للعلاقات بين الناس والمجتمات وعندئذ ظن أغلب الناس ان فى ذلك نهاية الفلسفة فاعلنوا « بؤسها » فى حين صدع غيرهم « بموت الاله » .

كلنا يعرف مثلا مواقف أوغست كونت Auguste Conte الذى قصد الى نبذ اللاهوت والميتافزيقيا فى عداد الافكار البالية لاستبدالها بموضوعية المعرفة العلمية ، مما اكسب الايمان المغالى فيه بالقيمة المطلقة للعلم ، هذا العلم الذى يجعل الانسان سيد نفسه وسيد الكون ، قوة جديدة ودورا قمينا بتعبئة الهمم وشحذ العزائم .

ويرى أوغست كونت ان البديل للفلسفة والدين هو علم الاجتماع بوصفه علما للانسان ونظرية للعمل ، فاعادة تنظيم المجتمع ينبغى ان تبنى على أسس علمية ، وآنذاك تمكن الاخلاقية الوضعية العنصر الاجتماعى من التفوق على عنصر الشخصية . فاستصلاح العالم ان هو الا مجرد عملية تقنية اذ ان الانسان الناهل من العلم الوضعى سيصبح اكثر علما وأوفر قوة وأحسن حالا .

ان الفكرة الغالبة فى ذلك العهد هى ان العلم سيوفر الاجابة عن كل تساؤلات الانسان فلئن اعتبر السؤال بـ (لم ؟) عديم الفائدة فان السؤال بـ (كيف ؟) فيه الكفاية للانسان . والنتيجة ان العلم يمكن من التوقع ، والتوقع يجعل القدرة اكثر موضوعية واشد نجاعة .

وليس من باب الصدفة ان يحظى مذهب كونت بالنجاح الذى عرف له ولعله من الانسب قياس هذا المذهب بتطبيق مبادئه نفسها عليه ، وفهمه على ضوء التيارات الفكرية والاهتمامات السائدة فى عصره ، فلقد كان القرن التاسع عشر فى أوربا فترة ازمة سياسية واقتصادية واجتماعية وكان هم الاوربى الاول ان يعى تاريخ أوربا ولم يوجد ولو مفكر واحد لم يكن همه ان

يفهم التاريخ بالقياس الى أوربا التى ما زالت حينذاك متأثرة بالهزات العنيفة التى أحدثتها الثورة الفرنسية وان يضمن للعرب الامن والوئـام والتفوق فى آخر الأمر .

ذلك كان المعنى العميق « للكونتية » Le Comtiame التى كانت تطمـح الى وضع حد للنزاعات بالتوفيق بين النزعة التقليدية والنزعة التحريـريـة بين الفكر التقليدى والفكر الثورى ، وهكذا فان لكل معضلة حلا بفضل موضوعية المعرفة العلمية .

اما الماركسية ، فانها رغم الظواهر والاختلاف فى المنهج ، لا تتوق الى هدف مغاير ، فقد رمى «ماركس» MARX حين نادى بضرورة تجاوز الميتافيزيقيا والدين ، الى انتشال الانسان من الاستلاب الذى يتخبط فيه وضمان النصر « للبروليتارية » وتحقيق التحرر الكامل للبشرية .

وهكذا أصبحت الفلسفة والدين كبشى فداء فى العصور الحديثة وحملا كل آلام البشرية وحشر كلاهما فى صنف الخرافـات المضللـة واعتبـرا بمثـابة التأوهات التى لا تغنى الانسان المنسحق فتيلا . وامام المعرفة العلمية والجدلية التى تضمن وحدها حصول الوعى فان الفلسفة والدين اصبحـا بالنسبة الى ماركس سعيا فلكلوريا كله خداع ومخاتلة خلفته البورجـوازية والرأسمالية للابقاء على الظلم والقهر .

وعلى نفس النسق هب نيتشه Nietzche بعبقريته الشعرية لمعـاضدة نفس النظرية . ونادى ان « الاله قد مات » واعتبر الدين من اعراض الضعف والونى فالفلسفة والدين ليسا ـ عنده ـ سوى علامـات انحطاط الانسـان ، ورغم ما بين هذه النظريات الثلاث من معارك عنيفة ومن خلافات فانها تصدر عن نفس السعى وتتجه نفس الاتجاه ، اى الاستعاضة عن الـدين والفلسفـة بالعلم الذى لا تشوبه شائبة خداع ، والعلم موئل الحقيقة ، ومصدر القـوة ، والمالك للجواب فى الحال أو الاستقبال عن كل تساؤلات الانسان .

واصبح حلم الانسان ، على انقاض الفلسفة والدين هو ان يفهـم كل شىء وان يؤسس نظاما جديدا بفضل المنهجية العلمية ، واعتقد القوم ان الاصـلاح الاجتماعى متوقف على اصلاح الادراك العقلى .

وانه لا مبرر فى الحقيقة لغمط ما بذله العلمانيون من جهد ، الا انه من حقنا ان نحكم لهم أو عليهم من خلال « الموضـوعية » المحتملـة لآرائهـم والنتـائج

الملموسة لاعمالهم ٠ ولا مهرب والحالة هذه من ان نلاحظ ان العلم لم يكن قط في وضع سيء ولا كان مضعضع الاركان مثلما هو عليه الآن ٠

ورغم المآثر العديدة والاكتشافات الملموسة التي لا يمكن بحال انكارها فان العلم لم يجد الحلول لكل المعضلات فالبون شاسع بين العلم من حيث هو علم والعلم الذي يدعي الانفراد بالحقيقة الكاملة ويغني عن دروب المعرفة الاخرى .

ان آفاق العلم قد اتسعت طبعا، ولكن هيهات ان يحصل العلم المطلق، والعلماء أنفسهم ينكرون بكل شدة ، ان يجيب العلم عن المسائل الميتافيزيقية والدينية ، اذ أن العلم يقصر دون هذه المسائل الكبرى او هو يتجاوزها ؟ هو على كل حال يبقيها دون جواب والسبب في ذلك ان العلم لا يملك هذا الجواب ولا يدعي ذلك في حين يظل الانسان يومه كامسه ، متعلقا ببعض التساؤلات الكبرى كعلة الوجود ولغز الموت ومعنى الحرية وابعاد القيم ٠

ان هذه الكلمات ليست بالنسبة الى رجل السياسة خالية من المعنى ولا هي فارغة من الجدوى ، صدقوني اذا قلت لكم : إن مسألة حقوق الانسان تبقى في كل لحظة ماثلة امام رجل السياسية ورجل الفكر ٠

أما اذا أردنا ان نتعمق أكثر فانه ينبغي البحث في أصول العلم وتوضيح حقيقته وهذا ما لا يتم الا بالتأمل الفلسفي ، ومن هنا فان العلم لا يناقض الفلسفة بل ان العلم يثيرها ، وهو حين يثيرها فلانه يعتمد عليها لينظر في أسسه وليوجد سندا له وليبرهن على شرعيته ويكمل انغراسه في الواقع . وبتعبير آخر ، فان الفلسفة تهيئة للعلم وشرط سابق له ، والا فكيف ينبغي ان نفهم مجهود البحث « الابستملوجي » المبذول منذ عقود كثيرة بصورة تثير الاعجاب ، هذا المجهود الذي هو بمثابة بحث مطرد من قبل العلم – أو باسم العلم – ليضمن لنفسه القيمة أو على الاقل حق الوجود ٠

واخطر من هذا فان العلم في مستوى الاستعمال والانتشار والنجاعة التقنية التي نوفرها يطرح المشاكل بقدر ما يحلها ٠

وما كان الانسان مسيطرا على الطبيعة مثلما هو عليه اليوم ، فالصغر اللامحدود والكبر اللامحدود أصبحا في متناول تطلعه ، فسر تكوين الحياة والموت والجماد والحي والهيولي وما ضد الهيولي اصبحت كلها حقولا مميزة لجهده .

فقد كاد الانسان أن يخضع لسيطرته كل المعمورة وحلق فى الفضاء فركم المعلومات بصورة لا قبل له بها فى الماضى وسيطر على الطاقة وحقق احلاما لا نهاية لها ورغم كل هذا فما شعر الانسان يوما ببؤس منزلته مثل شعوره بهذا البؤس فى عصرنا الحاضر فبالامس ناء الانسان تحت كابوس النازية وعلمها الزائف وشياطينها المتهيئة دوما للانقضاض ، وهــو اليــوم يــواجه اخطــار الاسلحة الفتاكة المهولة المتكاثرة شرقا وغربا ، لقد واجــه بالامس عنجهيــة التقتيل الجماعى المسلط من طرف الاوربيين على اليهود الذين وقع حشرهم فى المحتشدات الاوربية ، ويواجه ضميره اليوم ما يسلط من طرف الصهاينة على الفلسطينيين ، وعلى الافارقة من طرف انظمــة الميــز العنصرى والامبريالية ، وهو يتعرض اليوم فى بعض الدول ــ عــلى اختــلاف انظمتهــا السيــاسية ــ للتعذيب « النظيف » ولانتهاك حقوق الانسان بصورة واضحة ومتكررة . كل هذه امثلة تبين عدم شرعية التذرع بالعلم وهو ما من شــأنه ان يحــول دون التسرع بالاعلان بالانتصار من قبل دعاة العلماوية ويظل العلم فى نهاية الامر ومهما يكن مصدره ، سواء كان العالم الغربى او الدول الشــرقية ، من نتــاج التاريخ الا أنه لا يقدم شيئا بالنسبة الى مشكل كنه الحياة او احترام حقــوق الانســان .

من أنا ، ما مقدورى ، ما قدرى ، ما أملى ؟ « أسئلة طرحها « كانت » منذ حوالى قرنين وبقيت الى اليوم راسخة ، بل جعلها تقدم العلوم اكثــر حيــرة وأشد اقلاقا . فالعنف الذى هو خبزنا اليومى ، والعبث الذى يتراءى مفضوحا أمام أعيننا والظلم الذى يتحكم فى العلاقات الدولية ، كل هذا يجعلنا نشعــر بفقرنا الحاد فى دنيا القيم . فالانفجار السكانى والفوضى السكنية المنجرة عنه فى المدن والغفلية (Anonymat) السائدة فى الصلات بين الافراد وجفاف الحداثة ، واللاتصال الجوهرى بين النــاس فى عصرنــا الحــاضر ، كل هذا لا يكسب الفلسفة والدين دورا ما أو وظيفة ثانوية فقط بل يخولها دورا مرموقا ويكسبها وظائف لا تدخل تحت حصر . فنحــن فى أمس الحــاجة الى تــدارك النقص فى فهم وضبط وتعليل وتجاوز كل ما توفره لنا التقنية وما نستشعره فيها من بتر ونقصان .

وليس من شك فى ان ما اشيع من موت الفلسفة والــدين لـم يكــن بــدءا لانتصار حقوق الانسان بل بالعكس فان نوعا من العلماوية والتقناوية مهــد لظهور كل ألوان البيروقراطية التقنية التى شهر بها فى العديد من المناسبات وبقيت منتصرة اذا ما نظرنا الى كل واحدة منها على حدة .

ان الصمت الرهيب الذى يخيم على المحتشدات (قولاك) وتستر اصحاب القرار وما يحيط به مندوبو الشعب أنفسهم من هالات اليقين ووجود الديمقراطيات الصورية والكاريكاتورية ، كل هذا جعل الناس يضعون من جديد على بساط البحث الافكار البسيطة وحتى السخيفة التى تسلم بان التقدم التقنى يعنى التقدم وان العلم معناه التنمية .

ولئن اصبح النقاش حول حقوق الانسان من مواضيع الساعة فان ذلك دليل على يقظة الضمائر ولكنه ايضا دليل على الخيبة والذعر وانه على كل حال دليل على فقدان الجواب الراشق لكل اسئلتنا وضروب قلقنا .

ولا يفوتنى ان ألاحظ ان الاحداث الكبرى التى أثرت منذ ربع قرن فى العالم الثالث ليست من آثار التقنية والعلم ، فمسيرة « ماو » (MAO) الكبرى واستقلال بلدان المغرب العربى الكبير وافريقيا ، والسلم فى فيانتنام وحتى الثورة الاسلامية بايران وهى اقرب هذه الاحداث منا ، كلها كانت فتوحات الانسان الاعزل ضد التقنية وضد العلم وضد القوة ولم يكن من سلاح لها الا الايمان وارادة الحياة والتوق الى الحرية وحينئذ فانه لا أساس ليأسنا من الانسان وبالتالى فانه ليس من حقنا تحقير دور الدين والفلسفة . هى كلها عوامل تفسر دون شك تجدد التدين وتصاعد الحركات الاسلامية المتطرفة وحيوية المسيحية والبوذية ، ولا أدل على هذا من الاعمال الاخيرة التى اشرفت عليها السيدة Héléne Carrere D'encausse بكل اتقان ودقة عن نهضة الاسلام المنعدم النظير فى الاتحاد السوفياتى : انها « الامبراطورية المتفجرة ». ولكنه تفجر مصدره الدين . ويجدر ان نلاحظ ان آسيا الاسلامية قد حظيت بالفعل بمزايا الثورة البولشيفية ، فالنمو فيها باد للعيان ومستوى المعيشة تحسن بصفة ملحوظة ، ورغم ذلك فالسلطة السوفياتية ، التى سعت الى بسط نفوذها فى اطار سياسى واقتصادى محكم عجزت عن الوقوف فى وجه المد الاسلامي. والسر فيذلك انعقيدة هؤلاء المسلمين فى اذربيجان وطدجكستان.. هى عقيدة مهندسين ، عقيدة اناس قضوا على الاسلاب وقهروا التأخر التنموى وحصل لديهم الوعى بانفسهم وبدورهم التاريخى حسب الانموذج الماركسى الاكمل . إلا أن كل ما يترجاه هؤلاء من الاسلام ، من عقيدته ومن فروضه هو فى نهاية الامر أن يكون مرجعا وهوية ثقافية وتموضعا فى الواقع وطريقة فى الحياة تكسب الوجود معنى ، وفى آخر الامر التأكيد على الحفاظ على حقوق الانسان . ان للفلسفة وللدين ، دون شك ، مستقبلا زاهيا . فلا تعارض

بينهما وبين الحداثة والمعاصرة بل انهما تفتحان ذراعيهما لهما . ولا خوف عليهما من العلم اذ هو بالعكس يقيم البرهان عليهما .

اما تعايش الفلسفة والدين تعايش سلمى فى بعض الاحيان سخين منذ القدم فمرجعه انهما يستجيبان كلاهما لنفس الانشغال الاساسى للانسان المتجذر – ان صح التعبير – فى كيانه البيولوجى العميق وفى وجوده التاريخى، فهما يولدان وينبعثان من صدمة الحياة ، من تطورات التاريخ ومن صيرورة الوجود .

ويبقى السؤال بالنسبة الينا : أية فلسفة ؟ وأى دين نعني ؟ صحيح ان الدغماتية تتزيى أحيانا بزى الفلسفة فتكون بذلك تحية الرذيلة للفضيلة أو غالبا ما ينقلب الدين الى تعصب أعمى والى وحشية مقيتة . ولئن انتحلت مواقف كثيرة باسم الدين ، فان ذلك يعنى أن استغلال العقيدة لاغراض سياسية بله تجارية أو انتخابية ليس من الامور التى طواها التاريخ. وهل هذه هى الفلسفة الحقيقية والدين الحق ؟ يبدو لنا أن الانظمة المغلقة والمتقوقعة ، اللامتسامحة والمتحيزة والتى تدعى الاجابة الكلية عن معضلات الحياة مقضى عليها بدون رجعة . والامر الاساسى فى المنظور الفلسفى وفى المنظور الدينى ليس الاجابة بل السؤال . فالمهم هو الذهنية التى يواجه بها الانسان حياته ويقيم عمله اليومى ، والتى بها يتجدد تاريخنا ، ويضطلع بمسؤولية اختياراته . فالفلسفة الحق تسأل قبل ان تجيب وتطرح نفسها باستمرار موضوعا للبحث وهذا النشدان للحقيقة هو الذى يتحكم فى بحثنا عن الحرية وعن العدل ، وبالدرجة الاولى العدل الاجتماعى . والفلسفة الحق تبحث عن معنى للكرامة الانسانية وتقدم اقتراحات له ، والفلسفة الحق تصور متواصل لعلاقات البشر بعضهم ببعض افرادا وجماعات وبهذا المفهوم تكون الفلسفة أداة تحرير اذ هى تمكننا من نقد الانظمة السياسية المتنافية مع حرمة الانسان والعمل على استبدالها بسعى من الانسان عندما يتكفل بنفسه مواجهة مشاكله وتساؤلاته .

ولئن لم توجد حقيقة فلسفية نهائية فذلك لكون الفلسفة خلقا مستمرا ، فكرا يتجلى ويتطور فى موازاة تامة للحياة وكأنها أس أعمالنا . ان هذه الماهية الاساسية للفلسفة هى التى تجعل الانسان يفوز بنفسه ويؤمن ذاته ويؤمن العلم والتقنية اللذين يجب اعتبارهما من أرقى منتجات الثقافة الانسانية . وامام هذه الماهية المتفتحة للفلسفة تتجاوب ماهية الدين التى هى

الترجي وتسامي الانسان بالعقيدة . فالدين ييسر لنا الالهام الاسمى ويتنزل في القلب طمأنينة ويقينا ، والمهم هنا هو ان نجد معنى لحيرتنا ولتساؤلاتنا الميتافيزيقية وما تنبني عليه ، أي الامل في أن الاجابة ممكنة وأن الانسان ان هو ثابر على البحث لا بد منته الى نتيجة فيها نجاته .

وهكذا فان الدين هو الخائق المميز للقيم ، فالاديان تمهد لنا الدعامة الاخلاقية اللازمة لاعمالنا والدين يعلمنا حب الغير والشعور بالتكاتف وأهمية الصدق والعدل كما يعلمنا بالخصوص ان الانسان ليس وحده في مواجهة قدر محتوم بل نحن كلنا نواجه نفس المصير المشترك الذى سنظل صانعيه ... فالدين حوار الانسان مع نفسه مع الطبيعة ، مع الغير ، مع الله .

ان الدين والفلسفة لا تقفان حجرة عثرة في وجه حقوق الانسان بل هما في رأيي يكونان بمثابة الاساس واللحمة والحصن .

ويظهر لي انه يستبعد ان يرفع الفلاسفة والفقهاء وحتى عامة المؤمنين ايديهم امام ضروب الظلم والجرائم وان يسكتوا امام تفاقم الوحشية المستندة الى انظمة فلسفية او سياسية او دينية .

انه من واجبنا ان نشهر بالتقتيل والاعدامات بدون محاكمة والتعذيب والقمع وكذلك ايضا بالجوع وتهميش الشباب واستغلال العمال وموت الاطفال والامية وقهر المرأة . وان الواجب يدعو اكثر من هؤلاء ، أولئك الذين سعدوا بالايمان وامتلكوا كنزا من البصيرة الفلسفية لا يضاهى .

اجل ان للفلسفة وللدين منزلة ايجابية في تجسيم حقوق الانسان وان لهما قولا فصلا في كبريات المشاكل التي تحير البشرية ولذلك فانه لا يمكن . دون تمحل الحكم بانه قد حانت نهاية الفلسفة والدين او موتهما امام بروز المفهوم العصري لحقوق الانسان فهما ميراثان مشتركان للبشرية جمعاء . طبعا إن لكل مجتمع خصوصية واسلوبا ولكل انسان فردا كان او خلية من مجموعة الحق في ان يختط لنفسه الطريق التي يختار وان يباشر اختياراته الخاصة والمشتركة التي تسمح له بأن يكون هو ذاته.فاذا تم ذلك في كنف الصدق ومن اجل الحقيقة والاصالة فان السلم والتفاهم بين البشر يصبحان ممكنين ، ذلك انه لا مكان لتصور شمولي ولا وجود لفلسفة جاهزة محلية لكل الغوامض ولا

وجود لاجابة شافية كافية صالحة لكل زمان ومكان ، بل ان كل حضارة نسيج وحدها ولا يمكن فرضها على الغير دون ان يجر ذلك الى تحطيمها .

غير انه يجب ان يكون هناك مثل اعلى للجميع الا وهو احترام الانسان وما يعنيه ذلك من وجوب احترام حقوقه وهذا يعنى ايضا ان الحوار بين المسلمين والمسيحيين يبدو مبشرا بكل خير . فهو شرط لزوم لبقاء الانسان الجديد . وعلى كل ذوى العزائم الصادقة ان يخططوا للتعاون الضرورى بين المؤمنين فى اطار متزن لا تنقصه النجاعة معتدل لا تعوزه الجرأة .

وانه حين نتخلص من رواسب الحروب الصليبية ومن العراقيل الاستعمارية ، حينذاك لن يستعصى علينا ايجاد الطرق الكفيلة بسن علاقات جديدة تنبنى على ايماننا المشترك بالله الذى هو لا ينفصل عن ايماننا بالانسان.

وهذا يعنى ايضا مدى الاهمية التى نوليها لدور المثقفين فى تهديم اسوار اللامبالاة والاستعاضة عن داء العظمة والغرور الذى انتشر واستشرى بروح التسامح والتفاهم المتبادل ، وان للفلاسفة ولرجال الدين على الخصوص دورا جوهريا فى كشف قناع المدعين للنبوة والمشعوذين . واعتقادنا راسخ ان الحوار ممكن وأن عملا أكيدا ومفيدا فى نفس الوقت ينتظر ذوى النوايا الخالصة الا وهو أن نتعارف وأن نسعى لكى يعرف بعضنا بعض وأن نتعلم احترام بعضنا البعض وبالتالى ان نتحاب رغم الفوارق ... وبفضل الفوارق .

محمد مزالى

24 مـاى 1982

وقفة على أطلال قرطاج

شعر : رجب بن مهني

ينقضِي الدهرُ والأنامِل تبقَى   في طلابِ الأيام والأزمانِ
ويدور التاريخ مادار لكن   ليس يُفنِي عزائمَ الإنسان
وتعود الأيام صحوا وغيما   انه الجهد زاخر بالمعاني
تشرئب الصروح للنجم تيها   وهي تسمه في جونا في أمان
ويجد الجديد في كل عصر   كل عصر يروم كسب الرهان
إيه قرطاج حدّثِي وأفيضي   فحديث الأطلال جمّ البيانِ
فيه من حكمة الحياة اعتبار   قد روته الدهور دون اللّسان
ذلك الصخر كم يد نحتته !   وهو يشدو في حسنه بامتنانَ
أين غاب البناة والرّسم باق ؟   اين يمضي الإنسان والدهر دانِ ؟
وعمد كإصبع الجنّ باق   فوق أرض تعج بالحدثانِ
وبناء مصدّعٌ في ذهول   كبقايا من حشرجات كيانِ
والدّهاليزُ كالتواء الأفاعي   كالتقاء الأفراح بالأشجانِ
يهمسُ البحر للصخورِ حديثا   وهي ترجوه رأفةً في هوانِ
يلتقي الماء بالبناءِ فيقسو   قسوةَ الموْجِ مسرحٌ للطّعان
كيف قرطاجُ يحملُ البحرُ قوما   كي يجيئُوا بالعزّ والعمرانِ ؟
كيف ينسى ما كان منْ غابر الدّهر .. وينسي للدور كالبركان؟

كيف يمسي مع الرّياح عدوّا فيحلّ الدّمارَ بالبنيانِ

* * *

أنتِ قرطاج ما تزالين وجهـا عبقريّ الإلهام والإيمان
ما تزالين في النفوس شعارًا انّكِ الغصنُ وارفُ الأفنانِ
فيكِ تصحو النفوسُ في ذكر ماض خطّ سرّ الأحقاب بالألوانِ
فبدتْ ومضةٌ من النور فيها واستعادتْ ماضاعَ ، في الأذهان
ما أرادتْ (عليسةٌ) ظلّ وشما فوقَ صدر الأيام كالبرهانِ
جلْدُ ثوْرٍ هنا تمطّى مليّا كي يُرينا ما حكمة الثيرانِ !
تلكَ أرضٌ دماؤها قد أريقت بين ضرب السّيوف والنيرانِ
كم أمير هناك مرّ عزيزا وخدور تُصبّ للنّدمانِ !؟
ونفوس بكبْرها في شموخ وكراس تحاط بالغلمانِ !؟
ورياش .. ولؤلؤ .. وحرير ولباس .. وبهجة .. وأوانِ !؟
كم فتاة في دلّها قد تمشّتْ وهي تُبدي جمالها للحسانِ !؟
كم محبّ مشى يغنّي طروبا وهو يسعى في خفّة واتزانِ !؟
قدْ روتْ لي الآثار ماليس يروى ان فيها من حسنها ما سباني
إنّ فيها بساطةً وشموخا ولهذا ذُهلت .. ماذا اعتراني ؟
فتفرّست في الدّيار مليّا فدهاني من أمرها ما دهاني
اسمعيني إذا أتيتك دوما أنتِ قرْطاجُ درّة من جُمانَ

رجب بن مهنى

المبادئ العامة للتحليل الهيكلي في اللغة والآداب

بقلم : مصطفى التواتي

الهيكلية (أو البنائية) هى ترجمة للعبارة الفرنسية Structuralisme المشتقة من «Structure» بمعنى بنية أو هيكل . وهى عبارة ، كما يقول « جورج مونان » (1) ليس لها أى بعد ماورائى فى علم الالسنية وانما تعنى أساسا البناء «Construction» بالمعنى المتعارف للكلمة . وهذا البناء الذى نسميه « الهيكل » يتركب ككل بناء من عناصر أساسية وعناصر ثانوية . ووجوده رهين بالعلاقة القائمة بين تلك العناصر وخاصة الاساسية منها . لذلك فان الهيكلية لا تهتم بالعناصر فى ذاتها وانما تركز نظرها على نوع العلاقات القائمة بينها . فالعنصر هو كائن غير موجود ، بلغة الوجودية السارترية ، حتى ينتمى الى نظام معين هو نظام الهيكل ككل .

فالهيكلية هى نظرية شمولية استفادت منها العلوم الانسانية وخاصة فى ميدان اللغة والادب وعلم الاجناس الخ ... والذى يهمنا هنا هو استعمال هذه النظرية فى ما يسميه ـ تودروف ـ (2) ومن قبله ياكبسون « بعلم الانشاء الادبى » «Poétique» أو « الانشائية » باختصار حيث أن الهيكلية هى نظرية نص باعتباره موضوعا مغلقا تاما . وهى فى نفس الوقت طريقة تحليل شكلية تهتم أساسا بالهيكل التعبيرى (الدال) والهيكل السيمنطيقى (شكل المحتوى أو المدلول) ولكن لا يمكن فهم هذه النظرية بمعزل عن فهم المبادىء الاساسية للالسنية الهيكلية و « علم العلامات » «Sémiologie» و « علم الدلالات » «Sémantique» اذ أن الهيكلية ربيبة للعلم الاول

(1) جورج مونان : مفاتيح الالسنية ، ص 39 .
(2) تودوروف : ما هى الهيكلية ؟ ، ص 106 ـ 197 .

ومستفيدة الى حد بعيد من العلمين الآخرين . ثم ان النصوص الادبية هي نتاج لغوى قبل كل شيء ، ومعرفة اللغة شرط من الشروط الاساسية التي ضبطها « تودورف » ناقلا أغلبها عن « بنفنيست » «Benveniste» ليمكن اعتبار أي تحليل علمي للادب تحليلا هيكليا ، وذلك في قوله : « ان معرفة الادب ومعرفة اللغة أمران متلازمان .

ولا يمكن التحدث عن النص الادبي الا بالمقياس الذى نستطيع أن نتحدث به عن الكلمة فعل : «Verbe» بصورة عامة . وكذلك العكس اذ أنه مكـون من الكلمات » (3) .

بل ان تودورف يجعل ظهور علم « وظائف الاصـوات » «Phonologie» رمزا لظهور الهيكلية فيقول : « لقد ظهر علم وظائف الاصوات (فنلوجيـا) في اليوم الذى توقفنا فيه عن وصف الاشكال المختلفة لنفس الصوت وصفـا مفصلا في تقطيعاته المختلفة «Articulation» ، ذلك اليوم الذى سلمنا فيه بوجود صوت مطلق هو الصوتم «Phonème» الـذى ينتمـي في واقعـه الى نظام ولا يمكن اعتباره في حد ذاته .

ويجوز أن نقول في هذا اليوم : « إنه رمز لولادة الهيكلية » (4) .

وعلم وظائف الاصوات هو شعبة من شعب الالسنيـة الهيكليـة التي كان باعثها الاول العالم السويسرى « فاردينائد دوسوسور » خـاصة في كتـابه « دروس في الالسنية العامة » الذى جمعه ونشره بعد موته عدد من تـلامذته في سنة 1916 . ثم توالت بعده الدراسات التي انطلقت من ملاحظاته الهـامة مستفيدة من تقدم علم الدلالات . حتى استوى لنا علم الالسنية أو كاد وأصبح يؤثر في مختلف العلوم الانسانية بمناهجه العلمية

وقد انتشر علم وظائف الاصوات خاصة عن طريق مدرسة بـراغ وعالمها تروباتزكي خصوصا في كتابه « مبادىء علم وظائف الاصوات » . ثم تشعبت الى ثلاث شعب هي :

ـ شعبة المدرسة الهيكلية الوظائفية مع « مارتينيه » .

---

(3) تودوروف : المصدر السابق .
(4) تودوروف : المصدر السابق .

ـ شعبة المدرسة التوزيعية مع « بلومفيلد » (فى أمريكا) .

ـ شعبة المدرسة التحويلية ـ التوليدية مع تشومسكى .

إن « علم الدلالات » «Sémantique» هو « دراسة منهجية للكلام من زاوية معانى الكلمات » كما جاء فى قاموس « روبار » الكبير .. ويرى « بارتيل ما لمبورغ » ان علم الدلالات هو « دراسة الشروط التى يجب توفرها فى « الاشارة » حتى تكون حاملة لمعنى » (5) فهذا العلم هو اذن جزء من علم أشمل هو علم العلامات (أو «السيميوطيقيا» حسب التسمية الامريكية) الذى عرفه « سوسور » فى مقدمة « الالسنية العامة » بكونه « علما يدرس حياة الاشارات ضمن الحياة الاجتماعية » . وقد بسط « كندراتوف » (6) هذه النظرية فى كتابه « الاصوات والاشارات » وعرفها بأنها نظرية الاشارات والرموز وهى تدرس لغة الانسان والحيوان وغيرهما من النسق الاشارية والرموز مثل علامات المرور . وأساليب العرض فى الواجهات ، والفرق بين الاشارة والعلامة حسب « كندراتوف » هو أن العلامة دالة طبيعية تعلمنا بوجود شىء ما ولكن دون أن يكون ذلك مقصودا . فالدخان علامة على وجود النار مثلا ، أما الاشارة فهى علامة اصطلاحية ، يقع الاتفاق بين مستعمليها على المعنى الذى سيعطى لها .

فالاشارة اذن هى موضوع علم الدلالات وهى حسب «سوسور»(7)« الوحدة الكامنة بين مفهوم ما » «Concept» « وصورة صوتية سمعية » «Image Acoustique»ويمثل المفهوم ما سماه بالمدلول . «Signifié» وتمثل الصورة الصوتية ـ السمعية ما سماه بالدال : «Signifiant» .

$$\text{الاشارة} = \frac{\text{مفهوم}}{\text{صورة صوتية ـ سمعية}} = \frac{\text{مدلول}}{\text{دال}}$$

ويرى « سوسور » أن العلاقة بين الدال والمدلول هى علاقة اعتباطية فلا شىء فى لفظة « كرة » ، مثلا يدل على الكرة لا من حيث الشكل ولا أى شىء آخر . ولعل « سوسور » كان يقصد الاشارات غير الرمزية وخاصة منها

(5) بارتيل مالمبورغ « الاتجاهات الجديدة للالسنية » ، ص 63 .
(6) كندراتوف : « الاصوات والاشارات » ، ص 10 وما يليها .
(7) بارتيل ما لمبورغ : « الاتجاهات الجديدة ... » ، ص 62 .

الاشارات الصوتية بصريح عبارته « دال محدد بصورة اعتباطية ضمن كتلة صوتية » (8) وذلك أن بعض الاشارات التي يسميها « كندراتوف » رموزا ، وتكون العلاقة فيها بين الدال والمدلول علاقة داخلية «Intrinsèque» فعندما نرى مثلا رسما لعظام ميت على آلة كهربائية فان ذلك لا يمكن أن يعني الا الموت . بل حتى في الاشارات الصوتية نجد أحيانا نوعا من المنطقية الداخلية بين الدال والمدلول وذلك في الكلمات التي هي محاكاة لبعض الاصوات مثل : دقيق ، زقزق ، تكتك في العربية و«Chuchoter» في الفرنسية .

وما اللغة الا نظام من الاشارات وقد تكون الاشارة فيها صوتا أو كلمة أو جملة . وقد تكون نبرة أو تنغيما معينا في النطق . غير أن الاشارة كما عرفها « سوسور » ، تنطبق على الكلمة أكثر من سواها ولكننا لا نستطيع أن ندرس معنى الكلمة الا اذا كانت داخل سياق معين أو نظام نسميه نحويا بالجملة المفيدة وهي أبسط شكل للملفوظ «énoncé» إذ لا تتركب الا من العناصر المكونة «éléments constitutifs» أي العناصر الاساسية : مبتدأ + خبر أو فعل + فاعل (+ مفعول به) .

ومن هنا جاء التفريق الهام الذي اقترحه « سوسور» بين اللغة «Langue» والعبارة «Parole» فاللغة مطلقة ونظرية ، لذلك فهي اجتماعية أما العبارة فهي ما يتحقق من اللغة بالاستعمال وهي لذلك فردية .

وهذه الملاحظة الهامة هي التي أهملها المعجميون عندما أرادوا تحديد معاني الكلمات في غير سياق تستثنى في العربية لسان ابن منظور اذ كان يورد « أمثلة من الشعر والامثال والقرآن التي وقع فيها استعمال الكلمات المشروحة ...) .. وقد قال « لوسيان صباغ : « ان المعنى لا يمكن أن يبرز الا من سلسلة مهيكلة .. » (9) .

أما « فورين » (10) فيفرق بين المعنى الظرفي«Occasionnel» المعنى المألوف«Usuel»فالاول هو محتوى وحدة معينة في وضع معين . والثاني هو المعنى المشترك أو المطلق . فالكلمة عند « نورين » لا يمكن أن تكتسب نفس المعنى الظرفي مرتين اذ لكل وضع خصائصه .

---

(8) انظر ما لبورغ : في كتابه السابق ، ص 63 وما يليها .
(9) لوسيان صباغ : « الماركسية والهيكلية » ، ص 105 .
(10) « الاتجاهات الجديدة » فصل : علم الدلالات .

وبما أن اللغة هي نظام اشارى خاص فانها تخضع لوجود ثلاثة عناصر هي:

1) البـاث «émetteur» : وهو الذى يصدر نظاما صوتيا معينا .

2) الملفـوظ «énoncé» : أو الرسالة «message» وهى محتوى النظام الصوتى من الاشارات التى يريد الباث ابلاغها الى طرف ثان هو المتقبل .

3) المتقبـل «récepteur» وهو الذى يتقبل الرسالة من الباث ويقوم بفك شفرتها «décodage» ليفهم محتواها السيمنطيقى .

والى جانب هذه العناصر الاساسية يجب أن نذكر الوضع الذى وقعت فيه عملية البث والتقبل «situation» غير أن الدراسة الهيكلية للغة تخرج من حسابها الباث والمتقبل والوضع ولا تهتم الا بالرسالة وبكل ما يندرج ضمنها. وهذه الدراسة وصفية تكتفى بوصف ما هو كائن بالفعل ولا مجال فيها « لما يجب أن يكون » أو « لقل ولا تقل » فليس للالسنى أن ينقلب الى واعظ لغوى أو شرطى ينبه دوما الى الجادة المرسومة . وانما هو ملاحظ يصف بصدقما هو قائم بالفعل محاولا تفسيره ورده الى عوامله الاصلية . فالدراسة الهيكلية اذن هى دراسة آنية «Synchronique» تهتم بموضوعها فى لحظة من لحظات تغيره أى أنها دراسة أفقية مقطعية لموضوع ثابت فلا تهتم بالعمق التاريخى والتطور عبر الزمن «diachronie» (أو الزمنية) أى البعد العمـودى . وهى لا تبحث عن الاسبـاب «les causes» وانمـا تبحـث عـن المبـررات «les raisons» التى تتحكم فى نظام معين .

وهذا المبدأ هو الذى أثار الخصام مع الماركسيين غير أن هذا الخصـام قـد انتهى الى نوع من الوفاق عبر عنه « لوسيان صباغ » فى كتابه : « الماركسية والهيكلية » .. ففى الواقع لا يمكن أن يكون هنـالك اختـلاف جـوهرى بين الوجهتين بل نلمس بالعكس نوعا من التكـامل . فعندمـا يلـح الهيكليـون المتطرفون على نفى البعد التـاريخى العمـودى ويؤكـدون أن دراستهـم هى دراسة آنية أفقية ، فانهم ينسون أن كل مقطع أفقى له بعده العمودى مهمـا نقصت أهميته اذ أن المقطع الذى انحصروا فيه هو فى الواقع نقطة التقاء بين الخط العمودى والخط الافقى وبالتالى تكون له زمنيته مهما كانت محدودة ولا بد من اعتبارها عند التحليل . كما أن الدغماتيين من الماركسيين ينسون أنه لا يمكن لنا أن نفهم العملية التاريخية فى دراسة نظام معين دون أن نتعرف على طبيعة ذلك النظام فى اللحظة التى ندرسه فيها .

ولذلك فاننا نوافق « لوسيان صباغ » عندما يرى أن « الهيكل الذى يكشفه التحليل لنموذج خاص لا وجود له خارج أفعال البشر التى هى موضوع الدراسة التاريخية ، ولا مجال لمثالية هيكلية من شأنها أن تجعل من الهياكل مجرد أشكال خارجة عن التاريخ الواقعى للمجموعات الواقعية » (II) بل ان « فلادمير بروب » نفسه فى دراسته الهيكلية لحكايات الجن الروسية قد أكد أنه بالامكان أن ندرس المظاهر والاشياء المحيطة بنا سواء من حيث أصولها أو من حيث عملية تطورها ولكننا « لا نستطيع أن نتحدث عن أصل ظاهرة ما مهما كانت قبل أن نكون قد وصفناها .. » (II) .

ونعود الى الملفوظ (أو الرسالة) لنلاحظ أنه يتكون من عدة مستويات أدناها الصوتم «Phonème» وهو أصغر وحدة صوتية تمييزية ولا يمكن أن يفيد شيئا فى ذاته . فهو على حد تعبير « صباغ » فى نفس المرجع « اشارة ذات وجه واحد ، أى دال بلا مدلول ٠ «وانما يكتسب الصوتم معنى بانتمائه الى نظام صوتى معين وذلك بدخوله فى علاقة تفارقية أو تقابلية مع غيره من الصواتم. فالصوتم وحده لا معنى له ، أما اذا دخل فى تركيبة واحدة مع الفتحة والصوتم « ت » متبوعا بفتحة كذلك والصوتم « ب » متبوعا بتفحة (كتب) فانه يكسب معنى اصطلاحيا ، وهذا المعنى يمكن توليده الى عدة معان بحسب تبادل الحروف بأماكنها (وأول من لاحظ هذه الحقيقة الخليل بن أحمد فيما سماه بمبدأ التقليب) كبت ، بكت ، تكب ، بتك ... الخ . وبعض هذه الالفاظ كما يقول الخليل مستعمل وبعضها مهمل ، يمثل الرصيد الاحتياطى للغة .

والمستوى الاعلى من الصوتم هو اللفظم «monème» ، وهو يتركب من صوتمين أو أكثر ، تفيد معنى ضمن كلمة أو تكون كلمة بذاتها مثل « هل » التى هى لفظم يكون كلمة تامة المعنى أما كلمة « ضربنا » فتتكون من لفظمين هما « ضرب » و « نا » فى حين تتكون كلمة « ضربتها » من ثلاثة لفاظم هى : ضرب ، ت ، ها .

والمستوى الثالث هو مستوى اللغة وهى أتم هيكلا من اللفظم اذ تتركب من لفاظم وصواتم ، وتدخل فى علاقات خاصة مع غيرها من الكلمات لتكون معها المستوى الموالى وهو مستوى الملفوظ الادنى أى الجملة البسيطة

(II) مرفولوجية الحكاية ، ص II .

كما سبق تعريفها ، وهي تتابع منطقي لمجموعة من الكلمات بسيطة الهيكل ، واضحة التركيب اذ تخضع الى قواعد مضبوطة ومحفوظة في علم النحو .

ولكن التعقيد ينتج عندما نتنقل الى أعلى مستوى : وهو «النص» «le récit» الذي هو سلسلة من الجملة لا تخضع في ترابط عناصرها الى أي قاعدة مسبقة . وبالتالي فاننا لا نستطيع أن نطرح المسألة : « كيف يجب أن يكون النص ؟ » كما هو الشأن في النحو . وانما نقتصر على وصف ما هو كائن بالفعل لتحديد نوع العلاقات القائمة بين عناصره المكونة للتعرف على « أدبيته » «littérarité» (أي الخصائص التي تجعل من النص نصا أدبيا) وللكشف عن هياكله الاساسية . ومن هنا تنتهي مهمة الالسنية لتبدأ مهمة علم الادب الهيكلي .

ويمكن في ختام هذا العرض أن نلخص أهم المبادىء التي بشرت بها الالسنية الهيكلية في النقط التالية :

1) اللغة نظام من الاشارات ، ودراستها هي دراسة سيمنطيقية في جانبها الكبير .

2) لا دخل لاي عنصر أجنبي (كالباث والمتقبل والوضع) في دراسة الرسالة اللغوية (يمكن تسميتها كذلك بالبلاغ اللغوي) «message linguistique»

3) ضرورة الوعي بوجود نظام معين . فهي لا تهتم بالعناصر المكونة للرسالة اللغوية بصفة منعزلة وانما تنظر اليها ككل مترابط بواسطة شبكة من العلاقات .

4) تتكون الرسالة اللغوية أو الملفوظ من عدة مستويات يتحدد كل منها بوظيفته ضمن المستوى الاعلى .

5) ان العناصر المكونة للنظام المدروس لا قيمة لها في ذاتها وانما تتمثل قيمتها في العلاقة القائمة بين تلك العناصر اذ على تلك العلاقة يتوقف تركيب الهياكل وقيامها بوظائفها .

6) ان الدراسة الهيكلية للغة هي دراسة آنية «synchronique» لا تهتم بالبعد التاريخي كعنصر محدد .

وقد تبنت الانشائية الهيكلية هذه المبادىء الاساسية وحولتها الى حسابها الخاص فكانت لنا المبادىء الاساسية الدالية فى التحليل الهيكلى للنصوص الادبية .

1) النص الادبى هو نتاج لغوى قبل كل شىء . لذلك فان دراستى هى دراسة لغوية بالدرجة الاولى ، ولا مجال فيها للتأويلات الماورائية أو الخارجية عن نطاق اللغة .

2) ان النص الادبى يمثل وحدة مغلقة تامة ، ودراستها يجب أن تتم داخلها وذلك بتحليل معطياتها الخاصة بها ووصف القوانين التى تتحكم فى تركيبها وتوضيح كيفية عمل هياكلها وتمفصلها ببعضها البعض .

وبالتالى فان الهيكلية تعتبر وجود تناقض هام بين الملفوظ «énoncé» وعملية التلفظ«Procès d'énonciation» (باث ـ متقبل ـ وضع ..) غير أن « تودوروف » يحتج على هذا الموقف قائلا : « ان جميع العناصر المكونة لعملية التلفظ تستطيع أن تشارك فى تغيير ما يطرأ على مفهوم الملفوظ (12) ويتساءل (13) : كيف أمكن للنظريات الالسنية ان تتغاضى عن المظاهر المعنوية التى تفيدها عملية التلفظ فى دراسة المعانى التى يفيدها الملفوظ ؟!

ويرى أن بسبب ذلك يعود الى انطلاق هذه النظريات من العبارة المنطوقة لا المكتوبة وهى نوع خاص من النتاج الادبى وليست مطلقة .

ويمكن الاستدلال على ذلك باستعمال « ياكبسون » مثلا لالفاظ تدل على النطق لا على الكتابة مثل : باث ، متقبل ، وضع ، مباشرة «contact» . وهى عناصر تكون جميعا حاضرة أثناء انتاج العبارة المنطوقة ولكنها تغيب عندما نواجه العبارة المكتوبة .

فاذا كان حضور جميع عناصر عملية التلفظ خارج الملفوظ فى حالة النطق تستدعى غيابها فى داخله ، فانها فى النص المكتوب تعبر عن غيابها الواقعى بوجود محسوس بدرجة خاصة . وهذا هو السبب الذى من أجله لا نستطيع فى دراستنا للادب أن نهمل عملية التلفظ .

(12) تودولوف : الادب والمعنى ، ص 19 .
(13) تودوروف : الادب والمعنى ، ص 20 وما يليها .

وقد أيد تودوروف هذا الرأى بدراسته للادب الروائى الذى جاء فى شكل رسائل مثل دراسته للعلاقات الخطيرة les liaisons dangereuses وبالفعل فان رأى تودوروف ينطبق خصوصا على النصوص المكتوبة فى شكل رسائل أو تراجم أو تراجم ذاتية .

أما فى النصوص الاخرى فاندور عملية التلفظ هو دور ثانوى جدا بحيث لا يمكن اعتباره اذا اعتمدنا قانون الهيمنة «dominance» وهو من القوانين الهامة فى الدراسة الهيكلية .

3) للنص عناصر مكونة أساسية وعناصر ثانوية ، وموضوع الدراسة الهيكلية ليست تلك العناصر فى ذاتها وانما نوعية العلاقة التى تقوم بينها وطبيعة القوانين المتحكمة فيها . ويسمى « بروب » تلك العناصر الاساسية « الوظائف » فى حين يسمى العناصر الثانوية « صفات » «attributs» ويرى أن النص الادبى يخضع الى تركيب آخر ومستوى آخر هو ذلك التسلسل القائم بين الوحدات المعنوية «séquences» (وقد يتركب النص من وحدة واحدة) والدراسة الهيكلية تحلل النص المركب الى وحداته المعنوية أولا ثم الى هياكله الاساسية ثانيا .

4) بما أن الدراسة الهيكلية للادب هى دراسة لغوية بالدرجة الاولى فانه يجب التعمق فى الكلام المستعمل . وهنا تبرز مسألة ذات أهمية كبيرة وهى مسألة «المعانى الحافة» «connotation» أى المعانى الخارجة أصلا عن الكلمة. ولكنها علقت بها أو حفت بها ، ولذلك نسميها بالمعانى الحافة ، ومعرفتها ضرورية حتى نستطيع أن نفهم كل ما حواه النص ولا نهمل منه أى جانب .

وعبارة «connotation» (14) كان لها معنيان أساسيان : الاول عند « جيمس ميل »«James Mill»ويقصد بها تقريبا «signification» أى الدلالة والمعنى . والثانى عند « بلومفيلد » وتعنى : الاتحاد الثابت بين معنى ثانوى ملحق والمعنى الاساسى . أما «L. Hjelemslev» فقد استعمل نفس المصطلح وأعطاه معنى جديدا ليجعل كل دال لغوى حاملا لمعان حافة .

---

(14) انظر فصل «connotation»ضمن كتاب « تودوروف » : الادب والمعنى.

ان الكلمات ، ليس لها نفس المحتوى الاول ولكن لها محتوى ثـان أت من الثقافة والعقلية التى تنتمى اليها الامة الناطقة لتلك اللغة والذى نسميه معنى « حافـا » (I5) ويذهب ماركوز الى انه « لكل طبقة اجتماعية لغتها الخاصة من حيث المعانى الحافة ، وان تشابهت الالفاظ » (I6) أما « تودوروف » فانه ينقل المعانى الحافة الى مستوى الاشياء ولا يجعلها تابعة من اللغة لذلك ينفى عنهـا الاعتباطية والتصرف الفردى فيقول : « نتحدث عن المعنى الحـاف كلمـا كان شىء مـا «objet» يحمل وظيفة أخرى غيـر وظيفتـه الاوليـة » (I7) فالاشياء تكون حسب تعبيره نظاما تعبيريا أو لغة تظهر داخلها المعانى الحافة .

ولنذكر مثلا لذلك مستمدا من تراثنا ومن حكايات أيام العرب بالـذات . فقد كانت قبيلة تعد العدة سرا لمهاجمة قبيلة أخرى فاكتشف أمـرهم أحـد المارة وخوفا من فضحهم استحلفوه ألا يذكر شيئا مما رأى . ولكـن الرجـل تمكن من استعمال لغة جديدة تبلغ القوم بما يدبر ضدهم وتلـزمه بقسمه فى نفس الوقت . وذلك بأن أرسل اليهم إناء من اللبن وحفنة من الحصى وحبة من الحنظل . وقد استطاع حكيم القوم أن يترجم تلك الاشياء الى لغة فـاذا اللبـن بالاعتماد على طعمه يحدد مسافة العدو ، والحصى يخبر عن كثرة عددهم وحبة الحنظل تعلن عن وجود مقاتلين من بني حنظلة ضمن المهاجمين .

هذه اذن أهم المبادىء التى تعتمدها الانشائية فى معالجتها للنصوص الادبية من وجهة هيكلية وسوف نتعـرض بالبحث فى الفصـل القـادم الى مسـألة « التحليل الهيكلى للنصوص الادبية » أو ما يعرف بالدراسة المرفولوجية للادب التى ابتدأت بكتاب «فلادمير بروب» الصادر سنة I928 بعنوان : « مرفولوجية الحكاية » . وهو كتاب ظهر أولا بالروسية ثم نقل الى لغات عديدة ولعـب فى علم الادب الدور الذى لعبه كتاب « الدروس » « لسوسور » فى علم الالسنية .

مصطفـى التـواتي

(I5) نفس المصدر .
(I6) هاربرت ماركوز : نحو ثورة جديدة ، ص 6I وما يليها .
(I7) تودوروف : المصدر السابق .

وحدي أنا يا شارع الحياة

شعر: الحبيب الهمامي

وَحْـدي أنـَا ..
وَالشَّـارِعُ الفَسِيـحْ
مُعَلَّقٌ في ظلمـَةِ الليـلِ ..
وَتَرْثيـه المَصَابِيحُ ، وَقِطٌّ جَائِـعٌ
أوْ رُبَّمَـا جَرِيـحْ

* * *

وَحْـدي أنـَا
وَالعَاشِقُونَ يزْرَعُونَ في الزَوَايَا الوَرْدَ
هَلْ سَيَبْقَـى بَعْدَهُـمْ ؟
أمْ تَشْتَرِيهِ الرِّيـحْ

* * *

وَحْـدي أنـَا ..
وَالأصدقَـاءُ أحرَقُونِي وَاستَرَاحُـوا .
كيفَ أطْفِيءُ اللّهيبَ كيفَ أستريـحْ !؟

* * *

وَحْدِي أنَا وَالشَّارِعُ الفَسِيحْ
يجلدُنِي بالظُّلمَةِ الحُبلَى بغُرْبَةٍ غَرِيبَةٍ
ويَبنِي لِي عَلى كَفِّ الأسَى ضَرِيحْ

* * *

السَّمْعُ والطاعَةُ يَا أحزَانْ
سَأشتَرِي الآنَ ملايينَ المَنَادِيلِ لِكَيْ
أمْسَحَ دَمْعِي عِندَمَا
يَفِيضُ كَالطُوفَانْ
سَأكتُبُ الشعرَ الحَزِينَ إنَّنِي
فَجِيعَةٌ - وَاللهِ - لا إنْسَانْ

* * *

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ يَا أحْزَانْ
سأشتري خَنَاجِراً
أزْرَعُهَا فِي القلْبِ فالخنْجَرُ أقحُوانْ
الشَّارِعُ الطَّوِيلُ ذِكرَيَاتْ
تَصْفعُنِي
تَصْفعُنِي
حتَّى يفيضَ الدَمْعُ متبُوعاً بأفوَاجٍ منَ الآهَاتْ
الشَّارِعُ الطَّوِيلُ ذِكْرَيَاتْ
بالأمسِ كُنتُ عَاشِقاً
وَتحْتَ ذَاكَ الشَّجَرِ المُشتَاقِ للخُضْرَةِ وَالحيَاةْ
عَانقَنِي الحُبَّ أنَا
وَحُلْوَةَ الحُلْوَاتْ

وكانت الظُّلْمة عزفاً رائعاً
يزيدنا انسجاما
يزيدنا التحاما
ويصبح البرد لهيباً .
تعرق الأجساد ثمّ ترتخي
كأنّها قد شبعت غراما
إنّي أرى حبيبتي قادمة ..
من آخر الشّارع مثل الشّمس ..
في بداية النّهار .
بشعرها اللّيليّ ...
بمعجزاتها ..
بثوبها المسكون بالأزهار ..
ها هي تجري ها أنا أجري لكي
أضمّها وتبدأ الشّفاه في الحوار ..
يا ويلتي أين حبيبتي لقد تبخّرت
هل النّساء عادة بخار ؟!
* * *
آه من الحبّ الّذي يمضي ولايترك
في القلب سوى الدّمار
* * *
وحدي أنا
يا شارعي المغسول بالأمطار والأحزان
بالأمس كنت عاشقاً

وَكُنت آتيكَ وَفِي
جِرَابِيَ الأشوَاقُ ، والأفرَاحُ ، والأغَـــانِي
هَلْ أنتَ هوَ شارعِي المحبُوبْ ؟
أمْ أني كأيِّ ضَائِـــعٍ ..
أخطأت في العُنْـــوَانِ !

* * *

وَحْــــدِي أنَــا
أينَ هِيَ الحَبِيبَــــهْ ؟
هَلْ قدِمَتْ مِثْلِي إلى شَارِعِنَـــا ؟
هَــلْ دَمِعَتْ عُيُونُهَـــا تَوَجُّعــاً ؟
هَلْ عَرَفَتْ أنَّ الهَـــوَى
إذَا انتهَـــى
يُصْبِـــحُ كالمُصِيبَـــهْ ؟

* * *

وَحْــــدِي أنَــا
إنَّ الحَيَــاةَ حُلْــوَةٌ
لكِنْ تَصَرّفَــاتُهَـا غَرِيبَــهْ .

الحبيب الهمامي

إبراهيم الرياحي شاعراً

بقلم : الحبيب بن فضيلة

« اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » كتاب تاريخي أدبي ألفه الشيخ أحمد بن أبي الضياف في 8 أجزاء . خصص الجزئين الاخيرين منهما لتراجم الاعلام اما البقية فكانت مزيجا من النثر والشعر والاخبار فما هو حظ الشعر في هذا الكتاب ؟

يورد صاحب الاتحاف أثناء حديثه شعرا مبثوثا في كل الكتاب . وبعد عملية احصاء تبين ان ابن أبي الضياف قد سجل في مؤلفه 430 بيتا شعريا موزعة كما يلي :

الاتحاف	عدد الأبيات
الجزء 1	42 بيتا
الجزء 2	91 بيتا
الجزء 3	49 بيتا
الجزء 4	150 بيتا
الجزء 5	91 بيتا
الجزء 6	9 أبيات

فلمن هذا الشعر يا ترى ؟

من مجموع 430 بيتا هناك 80 بيتا مجهولة القائل حيث يقدمها ابن أبى الضياف على انها لبعض الحكماء أو بعض الادباء وأحيانا يورد البيت دون أدنى اشارة الى الشاعر الذى قاله ولعلها أبيات هو صاحبها باعتبار أنه قال قصيدة لما كان فى القسطنطينية التى سافر اليها فى 28 محرم 1258 الموافق ليوم الجمعة 11 مارس 1840 . وقد أوردهما فى ص 61 من الجزء الرابع .

تبقى 350 بيتا موزعة على 21 شاعرا . فمن هم هؤلاء الشعراء ؟

اسم الشاعر	عدد الأبيات
عبد الرحمن الناصر (باني الزهراء)	2 أبيات
ابن رشيق	2 أبيات
ابن هانىء الاندلسى	2 أبيات
الامام الشافعى	1 بيت
روح بن حاتم بن قبيصة	1 بيت
حسين بن محمد باي	1 بيت
عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص	1 بيت
ابن حيون	3 أبيات
محمد باي	3 أبيات
ابن ابراهيم بن الأغلب	4 أبيات
الشريف الرضي	4 أبيات
تميم بن المعز بن باديس	4 أبيات
والد الشيخ حمودة فتاتة	7 أبيات
محمد بن سلامة	8 أبيات
أحمد كريم	8 أبيات
أحمد بن أبى الضياف	15 بيتا
محمد بيرم	22 بيتا
محمد الطيب بن ابراهيم الرياحى	22 بيتا
محمود قابادو	78 بيتا
محمد الورغى	71 بيتا
ابراهيم الرياحى	92 بيتا

وهكذا فان هذا الأخير هو الأكثر حضورا بشعره في المؤلف .

فمن هو ابراهيم الرياحي ؟

هو ابراهيم بن عبد القادر الرياحي . ولد بقرية تستور بالشمال التونسي سنة 1181 هـ. / الموافق لسنة 1767 م. وهنـاك نشأ ودخـل الكتـاتيب حيث حفظ القرآن . ثم ارتحل الى الحاضرة طلبا للعلم . وفي جامع الزيتونة تتلمذ على أبرز شيوخ التدريس أمثـال الشيـخ صالـح الكـواش والشيـخ حسن الشريف وغيرهما ...

ولما اتسع في العلوم مجاله وشهد له شيوخه تصـدر للتـدريس بجـامع الزيتونة وقد اخترع طريقة اتخذها فحول العلماء من بعده كالشيخ عبد الله محمد بيرم الثالث ومحمد بن الخوجة وغيرهما . وتتمثل هذه الطريقة في أنه كان ينقل الدرس ويمليه من حفظه ثم يقرر ما يظهر له ثم يسرد كلام المصنف على كيفية تبعث النشاط في النفس .

وظل ابراهيم الرياحي في الحاضرة حوالي عشرين سنة فسئم ضيق العيش والوحدة حيث كان يسكن بمدرسة حوانيت عاشور ثم بمدرسة بئر الحجار ، وقرر الخروج من الوطن فبلغ ذلك الى الوزير يوسف صاحب الطابع فتسبب له في خطة التوثيق وكانت يومئذ شيئا مذكورا . ولما جاءه رسـول الوزيـر يأمر بالولاية وهو والد صاحب الاتحاف قال له ابراهيم الرياحي : « نتـرجى عشرين سنة مستقبلة حتى اجمع من الوثائق ما اتخذ به بيتا وزوجة » وصمم على السفر ورأى الوزير في خروجه خسارة فادحة للمملكة فاشتـرى له دارا مؤثثة والتزم له بنفقات الزواج فتزوج . ومنذ ذلك الوقت تقلب في وظائف مختلفـة :

ـ اختاره الباي أبو محمد حمودة باشا سفيرا له بالمغرب .

ولما عاد الى تونس باشر التدريس في جامع الزيتونة .

ـ قدمه حسين باي لرئاسة أهل الشورى من المفتيين اثـر وفـاة رئيس الفتوى اسماعيل التميمي بتاريخ 15 من جمادى الاولى 1248 هـ. / الموافق ليوم 10 أكتوبر 1832 م ، فزان الخطة وصدع بالحق .

ـ وأنابه الباشا مصطفى باي للحج عنه سنة 1836 م.

ـ وقدمه المشير أحمد باي للخطبة بالجامع الاعظم .

ـ ثم بعثه الى الدولة العثمانية مستشفعا به فى بعض الاغراض السياسية فأكرمه السلطان محمود وهاداه . وقد نجحت سفارته خير نجاح .

◆ وفى 28 رمضان 1266 هـ. / الموافق ليوم الاربعاء 7 أوت 1850 م. توفي الشيخ ابراهيم الرياحى بمرض الكليرا . وقد تـرك من بين ما ترك أشعـارا مختلفة ظلت مبثوثة فى الكتب المطبوعة والمخطـوطة تنـاول فيهـا الاغـراض التالية : المدح ، والرثاء ، والفخر ، والغزل ، وتاريخ السقـايات والمساجد ، والتوسلات ، والاجازات ، وبعض المواضيع المختلفة .

ومجموع أبياته الشعرية 1505 بيت شعري موزعة كما يلي :

الغـرض	عـدد الأبيـات
الفخـر	2 أبيات
الغـزل	3 أبيات
الاجـازات	41 بيتـا
تاريخ المساجد والسقايات	58 بيتـا
التوسـلات	198 بيتـا
الرثـاء	286 بيتـا
المـدح	764 بيتـا
مواضيـع مختلفـة	191 بيتـا

ويتضمن « اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » 92 بيتـا شعريا من مجموع اشعار ابراهيم الرياحى وهى مـوزعة على مختلـف اجـزاء الكتاب حسب الجدول التالى :

الاتحـاف	عـدد الأبيـات
الجـزء 3	34 بيتـا
الجـزء 4	56 بيتـا
الجـزء 6	2 أبيات

وحتى تكتمل صورة ابراهيم الرياحي الشاعر ننتقي فيما يلي بعض الأبيات التى قالها فى مناسبات مختلفة :

- انشد فى إسلامبول سنة 1254 هـ. قصيدة نذكر منها :

العز بالله للسلطان محمود ابن السلاطين محمود فمحمود
خليفة الله ما أعلاه من شبه بالصالحين وبالنبي داود
من آل عثمان ساد الملوك ومن جاؤوا كعقد من الياقوت منضود
هم السلاطين ما ذرت ولا غربت شمس على مثلهم فى نصر توحيد
وجاء سلطاننا المحمود بعدهم بكل رأي من الآراء مسعود
لم يعطه الله ملكا فى خليقته الا لمعنى من الاغيار مفقود
دانت لدولته الاعناق خاضعة من كل ذى والد منهم ومولود
تخشى السلاطين من بعد بوادره لما له من جلال غير مجحود

- وقال يمدح القسطنطينية :

بلد الخلافة فى الجمال فريد ولشأنه عرض مداه بعيد
من ظن يحسن وصفه فكأنما نحو الصعود الى السماء يريد

- وكاتب ابراهيم الرياحي صدر المالكية لما جعل مرتبا للعلماء مع الجند النظامى مثل مرتب الفقهاء الحنفية مع جند الترك ، سنة 1255 هـ. / 1840 م. قائلا :

جبرت باحسان لمذهب مالك قلوبا كواها الكسر يا خير مالك
وما جبرها نيل الحطام وانما بتنوير ليل من دجى الحيف حالك
تداركت تفريطا من الناس غفلة وكم لك من رأى عزيز المدارك
فسويت ما بين الافاضل رتبة فهم من بساط العدل فوق أرائك

الحبيب فضيله

المراجع :

- اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (ابن أبى الضياف) .
- ابراهيم الرياحي مفكرا وأديبا (محمود الياس) شهادة الكفاءة فى البحث [1977 / 1978] باشراف رياض المرزوقي .

خضـــرة ...

قصة : محسن بن ضياف

كان جالسا وكانت جالسة وكان بينهما يفصل طلبة .. بحر من الطلبة رؤوسهم منكسة عيونهم تلامس الاوراق .

هى فى أول القاعة وهو فى آخرها ينفث دخان سجارته بينما كانت هى تمارس تمارين رياضية لشدقيها عن طريق علكة الشوينقوم ، قال فى نفسه :

ـ ليتها أعارت جسمها شيئا من تلك التمارين ... كان جسمها قد ترهل وتمدد بكل حرية وسط فستان وياله من فستان ! لا شكل له وان كان له لون وكل مهمته تنحصر فى أن يحيط بهذا الجسم اللامحدود .

لعن الحظ العاثر الذى جمع بينه وبين هذه الاطنان من اللحم الملفوفة وسط فستان . كانت حبات العرق تتلألأ على الجباه الشابة وفى اعماقه كانت تسيل حبات من العرق او الدمع لا يعلم ولكنها تسيل فى استسلام مقيت يبعث السآمة والنفور أطل من النافذة أطال النظر حتى يتجنب ذلك الشعور ... ونسى .

كانت الاشجار هناك فى الفناء قد علت أغصانها خضرة... اغصان مشذبة بعناية بستانى ماهر ... واخذت الاوراق تتألق فوق الاشجار العارية ... والسماء البعيدة البعيدة كانت بحرا متجمدا من الفيروز أما الشمس فقد كانت ترسل أشعتها فى توثب فتصل الى القاعة الفسيحة وسرعان ما تلامس الاجساد الشابة فتنبعث رائحة العرق .

وقفت خلفه وطلبت منه بصوت هامس :

ـ قلم من فضلك .

التفت وقد مد يده الى جيبه يبحث عن القلم . وتوقفت الاصابع فى بحثها عن القلم بين الاوراق وحافظة النقود .

ـ قلم من فضلك .

ابتلع ريقه بشيء من الصعوبة كان الجسم أهيف والعينان فى خضرة الاوراق الغضة التى نبتت حديثا فوق الاغصان . عينان لهما شكل غريب بين الدائرى واللوزى والانف صغير مذبب أما الابتسامة فقد كانت برعما يتفتح ... فوق حدود الوصف ليس فيها شيء مما عرف عن الابتسامات الساحرة الجذابة ولكنها كانت رغم ذلك ساحرة سحرا غير محدود غير معروف لم يتعود على مثله ولا ألفه ولكنه ألفه فجأة وخفق قلبه له وأحس بقطرات العرق تنضح فى اعماقه . أخرج يده من جيبه أدخلها فى جيب آخر أخرج منديلا مسح قطرات العرق فوق جبينه وفوق شاربه .

كانت الابتسامة ما زالت ممدودة اليه ورن الصوت فى عذوبة اللحن الموسيقى النادر او الابداع النغمى الذى لا يتكرر .

ـ قلم من فضلك .

ـ قلم ـ أ ـ قلم .

حركت رأسها وترجرجت خضرة عينيها فى نزق الشدى البكر فأحس باهتزاز باطنى . أسرعت اليد تبحث عن القلم وبرز بعد لحظات من التيه فى خضرة لا محدودة ولا ملموسة ولكنها مرئية تحفر فى الاعماق خضرة وترسم على الشفاه خضرة قال :

ـ أنت معنا فى القاعة ؟

ـ نعم .

ـ منذ مدة ؟.

ـ قبلك .

ـ قبلى ؟

ـ وبعدك .

ـ وبعدى ؟

أخذت القلم من يده ولم تتحرك من مكانها بل وقفت تنظر اليه وتنقل بصرها بين خضرة الاشجار وزرقة السماء وشرعت أناملها تخط شيئا ما على الورق . مدت اليه بالورقة ظل مشدوها يتأمل الخضرة ...

وقف عمر بن الفارض فى ثوب من الصوف قد اشتد بياضه اشراقا وهو يقطع الارض عند سفح جبل المقطم وقف هنا وعيناه ما زالتا عالقتين بربى مكة وظلال الكعبة ينظر الى سماء القاهرة التى اشتدت زرقتها فاستحالت الى قطعة من الفيروز لا يعيرها الشيخ المديد القامة أى اهتمام فاعرض عنها ، وتاهت عيناه هناك وسمع صوته فى تهدج الذكر والوجد :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

قال وهو يحاول أن ينجو بنفسه من تلك الخضرة التى أخذت تغزوه فلا يستطيع منها مهربا فاستسلم لها فى رفق واستعذاب . وشعر بشمس المقطم تطوقه بأشعتها فتفرز من جمنسه عصارته فيتأرجح بين الحلم واليقظة وهو فى حالة ليست بحالة النائم ولا اليقظان بل هى حالة بين الحالتين :

ـ هون عليك يا أبا حفص فان لم تجاز بالكشف فقد كشفت عن خير ما فى النفس التى براها الرحمان .

فوضع ابن الفارض يده على صدره وكانه يصد دماء فوارة لطعنة طائشة وترقرقت الدموع فى عينيه ثم انسابت فى غزارة على خديه حتى اختلطت ببياض لحيته وأشرق بالدمع .

قال : عفوا أبا حفص ما قصدت .

رفع ابن الفارض يده عن صدره فاذا سائل أحمر يتدفق فوق عباءة الصوف وأتى على سمعه صوته واهنا متكسرا تمتزج فيه القوة بالضعف قوة الامواج الهادرة وضعفها وهى تتكسر على الصخور الصلدة :

صفاء ولا ماء .. ولطف ولا هواء وانوار ولا نار .. وروح ولا جسم

وتعالت خطاه وهو يهرول هاربا الى من لا مهرب الا اليـه ، نظـر الى ابن الفارض وتماوجت فى باصريه صحراء قاحلة جرداء ثـم انطلقت من داخلـه فجأة خضرة أخذت تسيطر على الرمال المحرقة وامتدت الخضرة فكست المفاوز والفيافى والقفار عشبا .. نظر الى ذات العينين الخضراوين اللوزيتين وضـم الصورة الى صدره فى شوق وعشق اتجه الى الطلبة انحنى عليهم جمع الاوراق واتجه الى النافذة . فتحها وأطل من الطابق الثانى كشف أبوحفص من صـدره فاذا الدماء تتدفق كالسيل العاتى فتروى الرمال والبيد وتكسو العشب فـاذا لونه لا هو بالاحمر ولا بالاخضر بل هو مزيج من هذا وذاك ونمت الاعشـاب سريعا وارتفعت على سوقها .

حقل سنابل غريبة حبلى بحبات غريبة . أحاطت به فكادت توارى عنه قرص الشمس المنداحة فى الافق فصاح جزعا :

ـ ادركنى يا أبا حفص .

وألقى بنفسه من الطابق الثانى والاوراق تحت إبطه أسرع الطلبة يطلون من النافذة وألقوا بأنفسهم فتلقفتهم شباك خضر أخذت ترتفع وترتفع بهـم نحو ذلك البحر المتجمد من الفيروز حتى اختفوا خلف امواجه الزاخرة وسال صوت ابن الفارض واهنا حزينا منقطعا جدولا صغيرا تائها شريانا مصفودا :

وعندى منها نشوة قبل نشاتى معى ابدا تبقى وإن بلي العظم

والسيدة ما زالت هناك على المنضدة تطل بعينيها الكبيرتين من وراء زجاج نظارة سميك . وجسمها المترهل الذى ملأ الفستان أخذ يتمـدد ويتمدد حتى ملأ القاعة . ودق الجرس فدخل المشرف على الامتحانـات بجسمـه النحيـف وعينيه الناتئتين وبدلته الانيقة بارز الاسنان كوحش من ورق يثير الضحك ولا يبعث الرعب فغرق فى الامتلاء الذى غمر القاعة وأصابته اغماءة فحملتـه السيدة الوقور بين ذراعيها فتحت الظرف الكبير ووضعتـه مكـان الاوراق واحكمت الغلق عليه بالغراء وتهادت تحمله وتنزل به الدرج وجسمها يترجرج وعلت أصوات كالجوقة آتية من بعيد لها :

ـ مسحة خضراء متشابكة كتشابك الاغصان :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق لكرم

محسـن بن ضيـاف

قصائد كركاتيرية يرسمها الخليل

مِنْ مسودات الضوء العربي

... العنف الذى هو خبزنا اليومى ، والعبث الذى يتراءى مفضوحا أمام أعيننا ، والظلم الذى يتحكم فى العلاقات الدولية ... كل هذا يجعلنا نشعر بفقرنا الحاد فى دنيا القيم ...

• محمد مزالي

— 1 —

واحدةٌ : بها تكونُ – صاحبي – مكْتملاً وكاملَ الأوْصافْ :
(1) كلمتُكَ التي تُريدَ أنْ تقولَها لمَنْ تخافْ
اصْدَعْ بها .. حذارِ أنْ تخافْ ..
فأنتَ إنْ أخفيتَها أوقفتَ كلَّ الخلقِ بينَ النِّطْعِ والسيَّافْ .

— 2 —

اثنانِ دائما هما وراءَ مَصْرَعِ الخُطَّافْ :
(1) الجُوع إذ يسوقُه لدودة تَزفُّهُ فريسةً لصاحبِ (المنْدافْ) (*) .
(2) الجوعُ .. يا وَيْلَتَهُ الخطافُ عِندَما يَجُوعُ السَّافْ !!

— 3 —

ثلاثةٌ : في عصرنَا بها تُحقَّقُ الأهْدافْ :
المالُ .. والأفْخاذُ .. والأكتافْ ..

(*) المنداف : الفخ .. فى اللهجة التونسية .

(1) المالُ للمستثمرينَ كمْ لهُمْ مُعَجِّلُ بالجنْيِ والقطافْ !!
(2) هي الثِّمارُ إنْ تباعَدَتْ قُطوفُهَا تجذبُها الأفخاذُ كالمخْطافْ ..
(3) هَلاّ ترى الأكتافَ فوقَ الماء تجعل الحديدَ كالخفافْ ؟!

— 4 —

أربعة : قد عمَّقتْ بينَ العروبةِ الخلافْ :
(1)الخوفُ .. كلُّنا منْ بعْضِنَا وبعضُنَا منْ كلنا يخافْ ..
(2) الجارُ يستضيفُ خصمَنَا ..
محاولا بأن يكون جاره اليه كالمضَافْ ..
(3) الخصمُ ظلَّ نحوَنا منصرفاً بكلِّه
.. وكلنا يظلُّ عنه في انْصرافْ ..
(4) الذئبُ في ملابسِ الرعاةِ يحسبُ القناعَ قدْ يطمئنُ الخرافْ ..

— 5 —

وخمسةٌ : تقاسمتْ وجوهنا بلا إنْصَافْ :
(1) الخمرُ عندَ البعضِ مهربٌ .. وعندَ بعضِنَا حضارةٌ ..
وعندنا حضارةٌ الهروب كلها انحرافْ ..
(2) الجنسُ عنْدَ بعْضِهمْ في أولِ المطافِ غايةٌ ..
وغايةٌ في آخرِ المطافْ !
(3) البَنْجُ عند بعضِهمْ في كرةٍ يلقفُها
وكرةٍ بها يسجّل الأهدافْ ...
(4) النسلُ عنْدَ بعضهم مُحَرَّمٌ ..
وبعْضُهمْ يُهْمِلُهُ في الليلِ بالقِفَافْ ..
(5) الخبزُ عندَ بعضِهم الى القمامةِ انتهى ..
ولمْ يزَلْ منْ أكبرِ الهمومِ للضّعَافْ ..

— 6 —

وستةٌ : تنافرَتْ جميعُهَا وأقسمتْ
بأنها لن تعرفَ ائتِلاَفْ :
(1) الموتُ والحياةُ : ما بينهما علاقةٌ
وانما الحياةُ مِنْ أحشاءِ أمِّها
به قد نزلَتْ ملتفةً كالقلبِ بالشِّغَافْ ..
(2) الحُبّ والعداءُ : ما بينهما بغضاءُ إنما بينهُما مسافةٌ مِنَ الجفافْ ..
(3) الخصْبُ والجفافُ : ما بينهما
مسافةٌ منْ حجَرٍ .. وانما بينهما مستقبلٌ من التّعطشِ الشّفّافْ ..
(4) الأمسُ والمستقبلُ الرهيبُ :هل
بينهما ترَابطٌ والحالُ منْ بينهما تنفصِمُ الالياف .؟
(5) الحربُ والسلامُ : ما بينَهُمَا
تحالفٌ وانما السلامُ دائما ..
لباسُ الحرْب عنده هو اللِّحَافْ ..

(6) الظلمُ والظلامُ : ما بينهما تعاطفٌ وانما ..
يَحترفُ الظلامُ ظُلْمَ الضوءِ لاَ مُجرّدَ احترافْ ..
بَلْ إنّهُ يَخافُ تَحْتَ الضّوْءِ الإنكشَافْ ..

— 7 —

وسبعةٌ موصوفةٌ منذُ القديمِ أنّها عجافْ :
(1) عائلةٌ رجالُها تأنَّثُوا ..
واسترجلت إناثُها .. ولا ترى في ذلك انحرافْ .!
(2) مدينةٌ ينصبّ فيها ريفها ..
لكنّها رافضة بأنها تنصب في الاريافْ ..

(3) حضارة يجرفُها تيّارُها .:.
وبعضنا أصابَه بريقُها بالإنجراف
(4) شجاعةٌ تهوّرتْ ولم تعدْ قادرةً
للفصل بينَ والوَقْفِ والإيقاف .:.
(5) أنظمةٌ مِنْ شَعْبِها خائفَةٌ
وشعبُها مِنْ قمعِها يعيشُ في ارتجاف ..
(6) دُوَيبَةٌ تكاثرتْ أرْجلُها وكلُّهم الى
الكرسيّ (جُهْدَكْ يَا عَلاّفْ) (*)
(7) مجتمعٌ له ثلاثةٌ بها يُحقِّقُ الاهدافْ :
المالُ .. والأفخاذُ .. والأكتافْ .:.
فأقرأ عليه آية : « الذين يكنزون .. والنساء .:. والأعراف »
كواحد من الشهور نحن ناقصون .. والنقصانُ عندنا لم يَدَّعِ التّمامْ !
وانما ادّعَى النقصان – عندنا – الظلامْ
زعانفُ الأسماك إذ تحركتْ .:. تحركت بها إلى الأمامْ
علام نحنُ – يا امتَنا – سفينة يدفعُها
إلى الوراءِ الموجُ إنْ تحرّكَ المجدافْ ؟؟
لَوْ لَمْ يكنْ ربّانُها عينَاهُ .!
في قفَاهُ .:!
فالنقْصَانُ عنده معناهُ : « قدْ أضَافْ » !!

الخليل

(*) جهدك يا علاف : استحوذ جهد المستطاع .

مدارس علم النفس المرضي

بقلم : الشاذلي الساكر

ـ I. مدرسة التحليل النفسي .

ـ I) « فرويد » : يقول : إنه أثناء تطور النمو الجنسي الذى تمر فيه الطاقة الجنسية بمراحل متعددة : المرحلة الفمية أو قبل التناسلية ، المرحلة السادية الشرجية أو مرحلة الكمون ، المرحلة الجنسية الناضجة أو التناسلية يقع خلل يعرقل تطور مرحلة من هذه المراحل فينتج عن ذلك تثبيت لليبدو ينتج عنه تطور غير سوى للجانب الجنسى من الشخصية تنتج عنه حياة انفعالية غير ناضجة . واعراض العصاب مثلا هى من ناحية محاولة لاشباع حاجة طفلية بواسطة الرمز وهى من ناحية ثانية تسليط عقاب على الشخص لتفكيره في مثل هذا الحل أى أن هذا العقاب هو نتيجة للاحساس بالذنب .

وفرويد يعتقد أن الحياة الدينية شبيهة بالحركات التى يقوم بها المرض بالعصاب ، فالعبادات التى يبرهن بها المؤمن عن إيمانه هى مجرد احساس بالذنب، والصلوات والادعية هى مجرد اجراءات حمائية، دفاعية أى أنها مجرد اعراض عصابية وبالتالى فانه يعتبر أن مرض العصاب هو تدين فردى وبأن الدين هو مرض عصابى وسواسى جماعى أو اجتماعى لا بد من علاجه ، ويعتبر أن الابداع الفنى هو تعذر لاشباع الرغبات الجنسية فى الحياة الواقعية يتحول الى عملية خلق وابداع فني . فالفنان هو عصابى ايجابى يستعمل الفن لتهدئة حاجياته التى لم يرضها . والفن هو مجرد تحقيق وهمى كالحلم لرغبات مكبوتة .

ـ 2) « كارل يونج » : يقول : إن مجمل طاقات الحياة هو مستودع كبير لكل الغرائز ، وأن الشعور الفردى يلتحم باللاشعور العام للبشرية جمعاء ، وهو اللاشعور السلالى الجماعى ، وهو الذى يحتوى على تراث البشرية من عبادات وتقاليد وأفكار ومعتقدات ...

وقسم الطباع البشرية الى مجموعتين رئيسيتين :

أ) الانطوائى يتجه بفعالياته و « بالليبدو » الى الباطن والى الذات وهو خجول ومتعمق وهادىء وبطىء وحساس .

ب) الانبساط يتجه بفعالياته الى الخارج والى الآخرين وهو اجتماعى ومتفتح وسريع القرارات وسطحى التفكير ومنفعل ومتقلب .

وتنشأ الامراض النفسية من الاندفاع والالحاح فى تلك الطباع أو من محاولة مقاومتها . وان تداعى الافكار الحر يكشف عن بواطن الانفعالات والرغبات اللاشعورية اذا استخدم فى الفحص النفسى السريرى .

ــ 3) « أدلر » : يقول : إن الطاقة الدافعة للانسان هى حب السيطرة والقوة والشعور بالنقص وهذه هى التى تدفعه الى التعويض بالتمكن من القوة عن طريق الجاه أو الشهرة مثلا . فاذا تمكن الشخص من التعويض زال شعوره بالنقص واطمأن . اما اذا عجزت « ميكانيزمات » العقل عن ايجاد تعويض مناسب يتحول الشعور بالنقص الى عقدة النقص وهذه هى مصدر الامراض النفسية العصابية .

ــ 4) « كارين هورني » Karen Horney : تقول : إن القلق الاساسى ناتج عن شعور بالعجز تجاه عالم مشحون بالعداء وشعور بفقدان الضمان ، مما يتسبب فى عدة أنواع من العصاب (القلق نحو القوة ونحو العطف والحب ونحو الرضوخ والانسحاب) . والدور الاكبر فى ذلك يلعبه المحيط والثقافة المسيطرة على السلوك البشرى ولا تلعبه المشاكل النفسية الشخصية . والعصاب هو مفهوم ثقافى ، لان كل بيئة وكل وسط يفسر الشذوذ حسب معتقداته ومفاهيمه .

ــ 5) « تيدور رايك » T. Reik اعتبر أن اللاشعور هو جهاز استسلام للحوافز النادرة فوق الحسية Extrasensorielle كالتخاطر والتلباثى وأن العصاب هو نتيجة لفقدان الثقة بالنفس .

ــ 6) « أوتو رانك » Otto Raink : اعتبر أن عملية المخاض هى أول صدمة أو شدة نفسية وهى منبع للقلق ، لانها تجعل الانسان يفتقد الضمان الذى وفره له رحم أمه . وان الارادة هى العامل الجوهرى فى تكوين الشخصية وأن اضطراب الارادة ينتج عنه الشعور بالذنب . والشعور بالمسؤولية هو الضمان الوحيد للصحة النفسية .

ـ 7) « ايرخ فروم » Erich Fromm : يقول : إن الانسان كان متحدا مع الطبيعة والمجتمع ثم انفصل عن الطبيعة واخيرا انفصل عن المجتمع للتطابق معها (وهذا هو الحل الشائع) أو تحقيق ذاته بوصفه فردا (وهذا هو الحل الخلاق) أو التمرد عليها باطنيا والتطابق معها ظاهريا (وهذا هو الحل العصابى) .

ولكى يتطابق مع المجتمع يستعمل الشخص عدة « ميكانزمات » نفسية هى :

أ) التصرف المازوخى وهو الاحتياج المرضى الى الحنان والشعور بالدونية والقصور والحاجة الملحة للاعتماد على الغير فى خنوع ومذلة . وهذا التصرف يتقنع بقناع التفانى والولاء الزائف .

ب) التصرف السادى ، وهو تصرف عصابى يعبر عن نفسه بوسائل متعددة منها الرغبة فى أن يعتمد الآخرون عليه ، وفى استغلالهم وتعذيبهم جسميا وعقليا ونفسيا .

ج) النزعة التدميرية وهى محاولة للقضاء على كل تهديد ممكن ولسان حالها : « لا أستطيع الهروب من الشعور عند المقارنة بينى وبين العالم الخارجى إلا بتدميره » .

د) المطابقة الآلية : وهى حيلة لازالة الاختلافات القائمة بينه وبين الآخرين بأن يكون نسخة طبق الاصل منهم وبهذا يتحاشى الشعور بالعجز .

ـ 8) « هاري سوليفان » H. S. Sullivan : قال : إن الشخصية ترتكز على حاجيتين رئيسيتين : الحاجيات البدنية ، وحاجيات الامن والاطمئنان،وعدم إشباع هذه الحاجيات ينتج عنه القلق ، وأكد على أهمية التعاطف وتقمص شخصية المريض من طرف المعالج لان أهم شيء هو العلاقة الانسانية التى تبرز بينهما ، ولان الانسان هو نتاج لعملية تفاعله مع الغير .

ـ 9) « اريك بيرن » : يقول : تتعايش عند الشخص الواحد ثلاث شخصيات مع بعضها البعض وهى :

أ) شخصية الوالد ، وهى حصيلة ما انطبع عنه الشخص من تصرفات والديه ، ووظيفتها اعداده للقيام بواجباته فى مستقبل حياته .

ب) شخصية الطفل وهى حصيلة ما مر به من تجارب خارجية وباطنية ووظيفتها مساعدة الشخص على حب الاستطلاع والرغبة فى المعرفة وفى الابتكار ولذة الاستمتاع بالحياة .

ج) شخصية الراشد (البالغ) وهى تزاوج بين شخصية الوالد وشخصية الطفل ووظيفتها معالجة الواقع معالجة عقلانية .

والامراض النفسية هى اختلال التوازن بين هذه الشخصيات الثلاث ، أى أن الاختلال يعيق التكامل السكلوجى للشخص .

ـ 10 « أرتربانوف » : يقول : إن سبب العصاب والذهان هو تعرض الشخص أثناء طفولته لصدمة واحدة لكنها صاعقة أو لتراكم من الصدمات المتتابعة على مدى سنوات . وهذه الصدمة هى شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه وغير محبوب أى بانه مرفوض من والديه (أحديهما أو كليهما) فينهار تبعا لذلك وعيه بذاته وبمشاعره وتتشوه ادراكاته لذاته ولواقعه ولمحيطه فيرغم على العيش فى عالم من الاوهام والمخاوف .

ـ 11. المدرسة السلوكية Behaviorisme :

تعتبر أن المرض النفسى هو تجربة وعادة يتعلمها ويكتسبها الشخص بطريق صدف الحياة ولا دخل للاشعور فيها ولا للجنسية الطفولية فمثلا : اذا عثرنا على شخص يشكو من الشذوذ الجنسى الذى هو « الالباسية » ، وهو إرتداء الملابس النسائية قصد الشعور بلذة جنسية ، فان هذه الظاهرة ليس منبعها العقل الباطن وليس لها جذور فى الطفولة بل هى ظاهرة حالية تعلمها ذلك الشخص بحكم ظروف معينة فاكتسبها فأصبحت استجابة سلوكية خاطئة ومرفوضة لدى المجتمع واعتبرها عادة مرضية . كذلك الطفل الذى يخجل من التكلم فى القسم ويصاب بالتأتأة واللعثمة والسبب فى تكوين هذه العادة المرضية هو انتقاد والده له كلما أبدى رأيا من آرائه .

يقول التيار اللاحق الذى يمثله « كلارك هل » و « تولمان » Tolman و « ميلر » Miller و « ايزنك » Eysenk و « ماري جونز » M. Gones إن سلوك الشخص لا يتأثر فحسب بقوانين المنعكسات الشرطية بل وأيضا بميوله وعواطفه لانه ليس بالآلة المجردة من الاحساس .

اى أن السلوك هو نتيجة للحافز مضاف اليه عواطف واتجاهات الشخص والمعادلة الموضوعية هى السلوك = العادة × الدافع .

والشخص المريض نفسانيا هو الذى لم يتعلم كيف يستجيب بالطريقة التى تمده باللذة والاشباع والراحة أى أن المرض النفسى هو تعلم خاطىء أو عادة غير متكيفة .

ـ III. مدرسة « الجشطلت » :

تقول : إن سبب المرض النفسى هو تعارض الاتجاهات عند الشخص الواحد التى تتسبب فى فصل الشخصية عن بعضها البعض. أو فى انقسامها. وهى لا تؤمن بعقل باطن . فمثلا : إن دفع حب المال بشخص الى التفريط فى كرامته ، ودفعه اعتزازه بكرامته الى مقاومة المال ، أصبح فى حالة صراع ، ولكى ينتهى هذا الصراع فمن الضرورى اندماج الرغبتين (جمع المال والمحافظة على الكرامة) وعندها يزول التوتر والتناقض والاضطراب وتعود حالة الاتزان للشخص .

ويقوم المعالج بمحاصرة للمريض باسئلة تساعده على مواجهة نفسه والى ربطه بواقعه الفعلى والحسى . ولا تؤمن هذه المدرسة بوجود صفات انفعالية طفلية عنيفة تتسبب فى بروز المرض النفسى ، وانما تعتبر أن المريض يرتد أو ينكص الى تصرفات طفولية كالبكاء والانهيار والهروب والانزواء والاستغاثة لكى يتملص من تحمل المسؤوليات وتبعات الحياة ويعتمد على الغير اعتماد الطفل على أمه .

وتلح هذه المدرسة على ضرورة معايشة المريض نفسيا للواقع والتركيز على الحاضر وعلى المستقبل . وبذلك تلتحم مجالاته الباطنية والخارجية بأبعادها الزمكانية ، النفسية وغير النفسية .

ـ IV. المدرسة الوجودية Essentialisme, Existentialisme :

ويمثلها « بيزوانجر » Binswanger و « كارل ياسبرز » C. Jaspers و « رولي ماي » R. May و « مينكوفسكي » Minkouski تقول : إن المرض النفسىهو ظاهرة وجودية وليس مرضا حقيقيا . والمرض النفسى هو نتيجة لتعثر الشخص فى أداء دوره الوجودى أو فى تعامل وجوده مع وجود الآخرين من ناحية . وهو قلق وجودى ناشىء عن شعور بعدم جدوى أو بفراغ وتفاهة الوجود فى العالم من ناحية أخرى .

والقلق عند هذه المدرسة هو « خوف من الموت يهدد الوجود » والشعور بالاثم ناتج عن « عدم استطاعة الانسان إنجاز ما بامكانه » والاكتئاب هو « شعور بتوقف الزمن الذاتى » وهكذا ..

ورأت استحالة الفهم بين المريض النفسى والمعالج وبالتالى قالت : - أ) بضرورة التقمص الانسانى بين المريض والمعالج قصد الاحاطة بأفكار هذا الاخير وبمشاعره وبعالمه الخاص - ب) رأت إستحالة العلاج بحدود التصنيفات والاسس التى أخذت بها بقية المدارس . وقالت بأن العلاج النفسى الوجودى غير مرتبط بقوانين وأسس مضبوطة ، بل أنه لين ومتطور وغايته السير مع المريض الى نقطة يدرك فيها معنى وجوده كحقيقة ثم أى يدرك ويبصر .

- ٧. المدرسة الواقعية :

ويتزعمها « جلاسر » : وتقول هذه المدرسة : إن المشكلات تبرز عندما يعجز الشخص عن إشباع حاجياته الاساسية فى عالم الواقع بطرق تقبلها الاخلاق والعرف والفشل يظل فى صورة تنكر جزئى أو كلى للواقع بأن يعيش الشخص فى عالم خيالى كما لو كانت بعض جوانب العالم غير موجودة .

ولتحاشى المرض النفسى لا بد من تحقيق اندماج صحيح يرتكز على علاقات إنسانية صادقة بادراك الشخص أن شخصا ما يهتم به بدرجة كافية ، لا لمجرد تقبله بل لمساعدته على إشباع حاجياته فى عالم الواقع كما يجب على الشخص أن يكون قادرا بدوره على تقبل هذا الحب وقادرا على منح حب مماثل وصادق.

- ٧I. المدرسة العقلانية الانفعالية :

وهى تعتقد أن ما يظهر على الشخص من أعراض اضطرابية نفسية يرجع الى تفكير غير منطقى ، وأنه بامكان المريض أن يتخلص من مرضه ومما عنده من تعاسة وبؤس اذا تمكن من تنمية تفكيره المنطقى العقلانى وأصبح يستطيع التعبير عما فى نفسه بصورة واضحة وصادقة وعلى ادراك أو وعي بمقدرته على احداث التغيير وعلى استبصار أصل مشاكله ، لان أصل المشاكل يرجع الى نظرة خاطئة والى تأويل هامشى للامور ، والى فهم لا منطقى لبعض التصرفات والمشاعر .

- ٧II. المدرسة المتعددة الابعاد Ecole Multidimensionnelle :

من أبرز ممثليها « ماير كروس » M. Gross و « سلاتير » Slater

و «مرتـان روث » Martin Roth . تؤمن هذه المدرسة الانجليزية الانتقائية التى لا تتقيد بمدرسة معينة بأن مكيفات السلوك هى :

أ) الجبلة البشرية بما فيها الوراثة والتركيب المورفولوجى ، ولقابليتهـا للمطاوعة أو للانهيار .

ب) المقومات النفسانية ، كالانطوائية والانبساطية والعصابية والاستواء . وأن شخصية الفرد تقع على أبعاد مختلفة من المكيفات المذكورة ، أى كل ترضخ لها بطريقة ، ومعرفة مقومات الشخصية تساعد على الكشـف عن الامـراض النفسية التى من الممكن التعرض لها والاصابة بها .

ـ VIII. المـدرسة النفسبيولوجية :

ـ 1) « بيار جنات » : يقول : إن مجرى الحوادث الشعورية عند الشخص السـوى هى وحدة مترابطة وان هذا الترابط تحافظ عليه درجة معينـة من التوتر النفسى . والسلوك العصابى هو انقسام هذه الوحدة المترابطة فيؤلف عدة تيارات مستقلة عند المريض المصاب ويكون ذلك نتيجة لهبوط فى الطاقة التى تحافظ على درجة التوتر . وهذا الهبوط يضعف من قابليـات الشخص بعزل يعنى الافكار والمشاعر التى تصبح غير خاضعة لسيطرة الارادة وتترجم عن نفسها على شكل اعراض نفسية كالـرويصة النـومية وفقـدان الذاكـرة وبالاخص النهك النفسى Psychost hénésie والهستيريا . فمثلا : اذا أصيب عضو بشلل هستيرى تحول مجمل الاحساسات الظاهرة ن العضـو المصاب الى تيارات شعورية متباينة الاتجاه ، دون شعور المريض بذلك وتبقى الاحساسات تؤثر فى النواحى الحركية من الجهـاز العصبى فتجعـل العضـو المصاب يتجنب الاذى المحدق عندما يتعرض له .

ـ 2) « بافلوف » : يعتقد أن العصاب هو نتيجة لصراع يحدث بين المؤثرات المنبهة والمثبطة عند شخص ما ، وهو شبيه بالعصاب الحيوانى أو التجـريبى Névrose Expérimentale ، وبروز العصاب عند الانسان يرضخ فوق ذلك الى الوراثة والتكوين النفسانى للشخص .

وتوجد أربعة أنماط للشخصية الانسانية (كما هو بالنسبة للحيوان) أو للنشاط العصبى ، وهى النمط القوي الاثارة والنمط الحيوى والنمط الخـامل والنمط المثبط الضعيف ، وكل من هذه الانماط يختص بعصـاب ، فمثـلا : تترعرع النورستانيا عند النمط القوي والهستيريا عند النمط الخفيف وهكذا.

ـ 3) « أدولف ماير » : يقول : إن الامراض النفسية هى رجع لعدة عوامل صغيرة وكبيرة متفاعلة مع بعضهما البعض وهى : أ) الـوراثة ـ ب) فتـرة

الحمل والرضاعة ـ ج) فترة الطفولة ـ د) الامراض العضوية ـ هـ) التجارب المؤلمة .

وكل شخص هو مفرد ومتفرد بشخصيته كذلك بأمراضه النفسية .

ويتمثل المرض النفسي في فشل المصاب في تقبل طبيعته كما هي ومحيطه الخارجي كما هو . أي المرض النفسي هو فشل في التكيف والانسجام بين الغايات من ناحية والقابليات من ناحية ثانية وبالشعور بالنقص وبالانفعالات والاوضاع الخاطئة من ناحية ثالثة .

ـ 9. **المدرسة التكوينية :**

وأهم ممثليها « كريتشمر » Kretschmer الذى قال بأربع بنيات بشرية وهى :

أ) البنية المملوءة Pycnique وتتميز بالامتلاء والسمنة وقصر **الاطراف ودقتها مع قصر الرقبة وهى ذات طبع اجتماعى انبساطى مرح وهى ذات مزاج انطوائى** خجول وحساس وهى معرضة للفصام . معرضة للاصابة بالمالنخوليا والهوس الدورى .

ب) البنية النحيفة Asthénique وتتميز بنحافة الجسم مع طول فى الاطراف وهى ذات مزاج إنطوائى خجول وحساس وهى معرضة للفصام .

ج) البنية الرياضية Athlétique وتتميز بنحافة الجسم مع طول فى انطوائية .

د) البنية المرتبكة Dysplastique وتتميز بهيكل غير منظم وهيئة غير متناسبة وجسم غير متناسق وهى مستقلة عن الشخصيات الباقية .

ـ 10. **المدرسة العضوية الدينامية** Organodynamisme :

ومن أبرز ممثليها : « هنري إي » Henry Ey و « جون دلي » Jen Delay تقول هذه المدرسة بأن الامراض النفسية هى فقدان للبعض من الخبرات العقلية (عارض سلبى) وفى نفس الوقت بروز لخبرات عقلية أخرى جديدة (عارض إيجابى) . ومثال ذلك : العارض السلبى عند الفصامى هو الاغراق فى الانطواء وفقدان القدرة على التلاؤم الاجتماعى ، والعارض الايجابى الجديد عنده هو الهذيان البرانوي الذى يحدد له نظرة جديدة الى العالم الخارجى .

وكل إصابة عضوية وظيفية تمس الدماغ تتسبب فى ظهور اعراض عصابية تتأثر فى تطورها بديناميكية خاصة يمكن تفسيرها بالاعتماد على النظريات الديناميكية مثل نظرية التحليل النفسى أو غيرها .

الشاذلي الساكر

قصائد

شعر: يوسف رزوقه

1) نهلستيّة

أغمدَ النّهلستيُّ (1) خنجرَه
في يديه الموشّمتيْن
وأعدمَ ذاكرةَ النّهر شنقاً، وأحرقَ جثّتهَا ..
قتلَ النّهلستيّ زوجته
حينَ شاهدَها تتقمّصُ جدّتهَا
لعَنَ النّهلستيّ ما خطّه الأوّلونَ
وصوّبَ ضحكتَه باتّجاهِ التّراثِ
فأسقطَه في الرّمادِ قتيلاً
ولكنّه حينَ فاجأه العصْرُ بالأسئلَهْ
طأطأ النّهلستيّ رأسَهْ
وحينَ رأى أنّ ما قالَه
كانَ بدءاً منَ الصّفرِ، أعدمَ نفسَهْ ..

---

(1) النهلستي : العدمي .

2) الحـــريـــــة

البَحْر فَكَكَّكَ فَجأةً أزْرَارَه ..
كَانَتْ عَرُوس البَحْرِ تَسْتَلْقِي عَلَى الكُرْسِيـلِ (١)
وَالحِيتَـــان تَرْقُص حِـــذْوَهَـــا ..
مِنْ أيِّ إقليمٍ أتَى هَذَا المُسَافِر كَي يُقَوِّضَ صَحْوَهَا ؟
— مِنْ سَبْخَةِ الحُمَّى وَمِنْ فَجِّ الغَرَائِزِ ، قَالَت الأطيَـــار
— قَـــالَ البَحْـــر : آهْ !
فاهْتَزَّتِ الأمْوَاج في كُلِّ اتِّجَـــاهْ ..
— قَـــالَ المُسَافِر شَاهِرًا دَمَـــه :
— عَرُوس البَحْرِ لِي ..
فَأنَـــا ، أنَـــا مَلِكٌ وَهَذَا الكَوْن لِي ..

* * *

في ذَلِكَ الصَّحْوِ المُلَوَّثِ بِالأنَـــا :
وُجِدَتْ عَرُوس البَحْرِ مَيِّتَـــةً ؛
وَكَانَ البَحْر يَجْمَع مَوْجَه ،
وَيَغُوص في أحزَانِهِ ، حَتَّى الفَنَـــاء ..

3) ديمقــراطيـــــة

في كَافتيريَـــا الشَّعْب :
كَانَ الشَّاعِر الصَّعْلُوك يَضْحَك مِلْءَ شَهْوَتِهِ

---

(١) الكرسيل : تركيب مزجى «الكرسى الطويل» من تركيب الصادق شرف
راجع ديوان «شواطىء العطش» ٠

وَ يلعَن سكَّةَ التفُهَــاء ...
كـانَ مُحَمَّد بن مُحَمَّد : أشقَى فَلاسفَة البلاد ..
يَمُدّ في وَجْه الزبائِن إصْبَعين مُرَدِّداً : فكتُوريا !
كانَتْ أمينَة في مَدِينَتِهَا ، تَمُدّ لِسانَهَا ..
تَلْوِي عصَا الشُرْطِي بالضَحِكِ الغَزِيــر ،
وَكانَ شُرْطِيّ قُبالَتهَا ،
يُجَالِس وَجْهَه ، وَيعُبّ قَهْوَتَه ولا يَهْتَم ..
كانَ الأقحُوَانُ يخُصّ صُفرَتَهُ باخِرِ علَّة في القلب ، قال :
ــ ستَنْحَنِي جِنِّيَّةُ الأسْرَار لي ، والكَوْكَبُ المَلَكِيّ .
ــ قَالَتْ نَبْتَةُ العِشْرِين لَوْناً :
ــ رُبَّمَـــا ...
ــ لَسْتَ الوَحِيدَ .. إلى السَّمَـاء ،
فَلِلْقَرَنْفُلِ حُلْمُهُ أيْضَــا ..
ــ فَكُنْ دَمْثَ الفُؤَادِ ، وَشَاسِعَ العَيْنَيْن
ــ أوْغُصْ في العَمَـى !
في كَافتيرِيَا الشَّعْب :
كَانَ الفَهْرَسُ الطَقْسِيّ مُخْتَلِفاً
فَكُلّ الآدمِيِّين التَقَوْا
كَيْ يُنْقِذُوا وَجْهَ المَدِينَة مِنْ بَشَاعَتِه

4) النهـــــر

صَدَرَ البَلاغُ ــ حَبِيبَتِــي ــ فَوْراً وَهَـذا نَصُّــهُ :
لِتُقَصّ كُلّ يَد تُشِيرُ إلى فَسَاد المَمْلَكَــهْ !
لِتُسَلْ عَيْنَـا مَنْ رَأى بَيْنَ الزَوَابِع ، مَسْلَكَــهْ !

أيتُهَا السَّجينَــةُ فِي دَمِــي :
يتَفَقَّــدُ الأعْمَــى أصَــابِعَهُ ،
فيَسقُطُ وَجْهُهُ مِنْ فَجْأةَ بيْنَ الأصَــابِــعِ ،
ينْهَضُ الأعْمَى فتَنْهَضُ وَرْدَةٌ مَعَهُ ،
وَيتَّجِهَــانِ نَحْوَ النَّهْرِ كيْ يتَعَانَقَــا ...
النَّهْرُ أصْدَرَ في الخِتَــامِ بَلاَغَــهُ :
– سأشْــدُ عنْ مَجْرَايَ في الوَقْتِ المُنَاسب !
– سأشد عَنْ مجْرَايَ فِي الوَقْتِ المُنَاسِب !
كَانَ عَبْدُ الله يَبْحَثُ عَنْ أصَابِعِهِ ،
وَعَنْ عَيْنَيْــهِ ...
حِينَ رَأى وَلاَمسَ وَرْدَةً :
مَحْبُوسَــةً فِي عِطْرِهَــا الجَذْلاَنْ .

يوسف رزوقه

ارفيوس على الأرض

بقلم : محمد كمال المدايني

[وقفة على منصة التجليات ، فى سبيل الكشف عن المنحى الغنائى والمنحى الواقعى فى رواية موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح] .

يعد الفن الروائى عند العرب ، فنا محدثا ، كالفن المسرحى .

وتعد « زينب » النموذج الاول للرواية العربية ، اذ تتواجد فيها كل أو جل عناصر القصة كما حددها الغرب .

وبدءا من « زينب » لمحمد حسين هيكل ، الى « الرحيل الى الزمن الدامى » لمصطفى المدائنى ، شهدت القصة العربية تحولات جذرية مدهشة ، على صعيد الابداع والفرادة .

لقد كانت مأثرة « الرحيل الى الزمن الدامى » للمدائنى ، فضاء من الاحتمالات المشرقة ، لا عهد للرواية العربية به ، فاذا اعتبرنا هذه الرواية ينبوعا من الكشوف « الاسرارية » والرؤى الجوانية الغامرة ، واجتراحا فردا لنمطية العلائق الاجتماعية المتآكلة ، فما تكون حدود الفلك الروائى عند القاص السودانى الملهم : الطيب صالح فى : « موسم الهجرة الى الشمال » ؟

انها تكمن فى اندغام تكامل مشوق بين أقانيم ثلاثة .

- البعد الانسانى

والبعد الواقعى

والبعد الغنائى

تعريفا ، من هو الكاتب الانسانى ؟

ان الكاتب الانسانى كاتب ذو رسالة ــ رسالته هى الانسان . أعنى أنه يلتزم قضايا الانسان بما هو انسان ــ وهو لذلك كاتب متجاوز . أعنى أنه يخترق الراهن العابر ، ليمتد من الازل الى الابد . كما أنه يخترق الواحد الى الكل ، والكل الى الواحد ، ثم انه « هنا » و « هناك » معا .

على هذا الضوء يمكن فض الختم عن تجليات المواقف الانسانية فى « موسم الهجرة الى الشمال » وهى أربع :

أولها الموقف الاجتماعى الانسانى ، ونستهله برابط الحب .

فى الرواية منحى ايروسى بالمعنى الفرويدى للكلمة ، تمثله أحسن تمثيل « بنت مجذوب » ، العجوز التى تزوجت ستة رجال « ولو وجدت الآن شيئا لما فرطت فيه » .

وهذا الحب الايروسى فى الرواية ، سائد . وهو ليس مجرد علاقة بين الافراد والجماعات ، بل هو هاجس كونى . انه مركوز فى لاوعى الكون ــ يدفع الذكر والانثى الى عملية جسدية كونية رتيبة ، هى ، تكرار لما قام به أجدادنا ، وهى طقس سيكرره أحفادنا ، اذن ، فالهاجس الايروسى عند « بنت مجذوب » هاجس كونى ، أى انسانى ، انه هاجس الاخصاب والمحافظة على النوع .

يقول الراوى لمحجوب : « اننى بشكل أو بآخر أحب حسنة بنت محمود ، أرملة مصطفى سعيد ، أنا مثله ، ومثل ود الريس وملايين آخرين ، لست معصوما من جرثومة العدوى التى يتنزى بها جسم الكون » .

لقد اتضح أن الحب ، أى رباط الائتلاف فى الرواية ، رباط انسانى كما أراده الطيب صالح أن يكون .

على أن فيها مع ذلك علاقة اختلاف ، وتصادم ، بين مختلف طبقات المجتمع ، تتجسد كأروع ما تكون على مسرح الرواية . فمحجوب « يحب أخبار الخرطوم خاصة اخبار الفضائح والرشاوى وفساد الحكام » ، وهو المواطن الواعى الذى قال معلقا على فكرة توحيد التعليم التى ينادى بها المؤتمرون « فليبنوا المدارس أولا ، ثم يناقشوا توحيد التعليم » .

طبعا ، هذا هو كل ما توصل الى « كشفه » أو « استنباطه » المواطن البسيط الذكى «محجوب»، لكن ما يعلمه الراوى أدهى وأمر، فالوزير يقابل بالتصفيق لفضحه الداء البورجوازى الخطير بقوله : « اننا اذا لم نجتث هذا الداء من جذوره ، تكونت عندنا طبقة بورجوازية لا تمت الى واقع حياتنا بصلة » .

ويهجس الراوى فى باطنه : « كيف أقول لمحجوب ان هذا الرجل بعينه يهرب أشهر الصيف من افريقيا الى فيلته على بحيرة لوكارنو ... » ، ثم يسترسل فى تعداد التناقض الحاد ، بين ما « يقوله » الوزير ، وما « يفعله ».

ومن هنا تتبدى المفارقة بين « التنظير » الذى يبقى معلقا ، و « التطبيق » الذى لا يتحقق منه شيء ـ ومن هنا نلاحظ شرعية التساؤل عند محجوب ـ ومن هنا كذلك يضع الطيب صالح اصبعه على الجرح . ويتجسد هذا فى كشف المخبأ ، وبث الوعى ، فيكون بذلك : الرائد ، وتكون مهمته الانسان ـ أى الانسانية .

واضافة الى المغزى الانسانى المتمثل فى الكشف عن العفن البورجوازى ، وتهافته ، تتجلى ظاهرة الميز العنصرى كاحدى المعانى الانسانية فى الرواية .

فالغربيون يرون فى ذوى البشرة السوداء ، أحقر المخلوقات وأدناها ـ لذا ، كلما كانت بشرة الانسان اكثر بياضا ، كان أقصى عن « الدونية » ، أى أقرب الى «الفوقية» و «السيادة» ، ولقد جاء قول مصطفى سعيد توكيدا لهذا المعنى :

« المحلوفون أيضا ، أشتات من الناس ، منهم العامل ، والطبيب ، والمزارع ، والمعلم ، والتاجر ، والحانوتى ، لا تجمع صلة بينى وبينهم ، لو أننى طلبت استئجار غرفة فى بيت أحدهم فاغلب الظن أنه سيرفض ، واذا جاءت ابنة أحدهم تقول له : اننى سأتزوج هذا الرجل الافريقى ، فيحس حتما أن العالم ينهار تحت رجليه » .

اذن ، فرد الرجل الابيض على الرجل الاسود ، ردان :

« الرفض » ، و « انهيار العالم » .

ان كلا الردين ليسا غريبين. ذلك أن الرجل الابيض ورث غلا دهريا باطنيا، عن المجتمعات الاقطاعية البائدة ، التى ترى فى « الاسود » « عبدا » أو «مملوكا»،

مهمته ارضاء أسياده البيض ، والخضوع لهم ، فتكون العلاقة بينهما علاقة « السيد » بـ « المسود » ، أى علاقة « الفوق » بـ « التحت » و « القوى » بـ « الضعيف » : « الرجل الابيض لمجرد أنه حكمنا فى حقبة من تاريخنا ، سيظل أمدا طويلا يحس نحونا باحساس الاحتقار الذى يحسه القوى تجاه الضعيف » .

اذن ، فمقاومة الطيب صالح ، ليست مقاومة لتقليعة ، أو لظاهرة عابرة ، انما هى مقاومة لراسب دهرى مركوز فى الذات البشرية ، فهو اذن : تطلع الى « أنسنة » الانسان انه طموح الى الانسانية .

هكذا ، يتجلى الموقف الاجتماعى فى الرواية بتفريعاته المختلفة موقفا انسانيا رائدا .

أما كان للموقف السياسى بعد انسانى شامل ؟

بلى ـ انها الثورة على الاستعمار ـ فمنطلق الاستعمار ، هو ، هذه الفكرة المسبقة : افريقيا (غابة) ...

قيل لمصطفى سعيد : « فأنت بعد كل المجهودات التى بذلناها فى تثقيفك ، كأنك تخرج من (الغابة) لأول مرة » و (الغابة) ، لفظ مكثف ـ هى : (الموت) و (الشراسة) و (الجهل) . انها شىء يشابه مفهوم (الكهف) عند أفلاطون .

فلا بد ـ اذن ـ من بروميثيوس آخر ، ليسرق النار ، ويهبها للناس ، سارق النار هو الاستعمار ـ مهمته تنحصر فى (ترويض) (الغابة) و (تمدينها) ـ لذلك ، أنشأ الانقليز المدارس فى السودان .

ولكنهم ، يقول مصطفى سعيد بمرارة : « أنشأوا المدارس ليعلمونا ، كيف نقول « نعم » بلغتهم » .

لقد هيئوا « المناخ » المناسب ، لتهدئة الضمائر ، وتخدير النفوس،وتعويدها على الرضى والقبول ـ كما قمعوا كل متمرد حاول الخروج على « المناخ » : « حين جىء لكتشنر بمحمود ود أحمد ، وهو يرسف فى الاغلال ، بعد أن هزمه فى موقعة اتبرا ، قال له : « لماذا جئت بلدى تخرب وتنهب ؟ » الدخيل هو الذى قال ذلك لصاحب الارض ، وصاحب الارض طأطأ رأسه ، ولم يقل شيئا » .

لذا ، فان كلمة « نعم » ، هى المفتاح ــ الخلاص . وأن كل من استعمل مفتاحا مزورا أى مغايرا ، مهدد بالقمع . وهذه هى الصورة البشعة للاستعمار الـذى يستغل الوطن بأسم ترويض الغابة ، والتبشير بنار المعرفة الالاهيـة . وليس هذا سوى المنطق الديماغوجى للاستعمار ، كما فضعه الطيب صالح فى روايته: موسم الهجرة الى الشمال ، غايته فى ذلك ، تخليص الانســان والانسانيـة ، وتحريرهما على الصعيد السياسى .

على أن الموقف الحضارى عند الطيب صالح ، انسانى أيضا .

ينعكس ذلك ، من خلال شخصية مصطفى سعيد ، الـذى بدأ يتكشف لنـا شيئا فشيئا ، من الغرابة الى الاغرب ــ ثم تكشف دفعة واحدة ، عالما موسوعيا ، جليلا : دكتورا فى الاقتصاد ، وأستاذا محاضرا ، ان له مؤلفات فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والعلاقة بين الاستعمار والعالم الثالث ، الى جـانب بحوث ، فى الادب والفكر ، والشعر ، والفلسفة ، والعلوم .

مؤلفاته مصفوفة الى جانب شكسبير ــ وملتــن ــ وماركس ــ وفرويـد ــ وغيرهم .. «ليس هنالك أى كتاب باللغة العربية» مصطفى سعيد ... ناقل أمين للفكر الغربى ، وليست بحوثه فى الاقتصاد والصناعة ، سوى نداء للاقتباس من العلوم الصحيحة الغربية .

ان ذروة التحضر فى منظور مصطفى سعيـد تتجسد بدئيـا ، فى مفتاحى الاقتصاد والصناعة ، وليست فى « الكشف عن شخصية شاعر مغمور ! » ..

وفى الحقيقة ، فمصطفى سعيد ، مصطفان :

ــ مصطفى ــ الحضارة الغربية اطلاقا .

ــ ومصطفى ــ عودة الوعى : الذى عاد للمنطلق ، وقال : من هنا أبدأ ــ انه مصطفى ــ الارضية السودانية ــ عاد يحفر الارض بمعوله ، مع الفلاحين، يقضى يومه كاملا فى الحقول ــ ويعود مكدودا عند المساء ــ ويشارك فى الجلسات التى تهم مصالح البلدة ، ويتكلم فى صدق وحرارة ، له رأى مسموع ، والكل يثق به.

ان هذا المنظور الثانى للحضارة أهم ، انه قطار يسير على خطين متوازيين « الخط الثقافى الغربى » التحرك واليقين العلمى .

والخط السوداني « الاصالة والاحتمال » .

ومن هنا . من افريقيا . من السودان . من البلدة ذاتها . بدأ مصطفى سعيد المنطلق سوداني ، والدليل غربي .

ان النظر الى العالم من زاوية تغييره وتحويره ، هي روح الرؤية الحضارية الانسانية في منظور الطيب صالح .

على ان شخصية مصطفى سعيد تحمل اكثر من هذا المعنى ، انها انموذج الكاتب الانساني .

اننا لا نتكشف علم مصطفى سعيد الواسع الا في النهاية كما أشرنا سابقا ، انه أنموذج الكاتب الذي يعمل في صمت وعمق ، لكنه يبقى مجهولا أو شبه مجهول طوال الرواية ، انه طلسم ، شبح ، دخان ، « أكذوبة » ... فقد كان ، دائب الترحل ، في سبيل مزيد من الضوء سافر من الخرطوم ، الى مصر ، الى لندن ، وبلاد الغرب ، مدفوعا بهوس الكشف عن المجهول ، عن سر الكون . انه يماثل الفيلسوف : ديوجين ، الذي حمل مصباحا في وضح النهار ، باحثا عن الحقيقة .

ان مصطفى سعيد ديوجين آخر ، يطارد الحقيقة من مكان الى مكان .

لن يصل مصطفى سعيد الى الحقيقة . هذا ثابت ، ولم يصل اليها ديوجين قبله ـ ولن يصل اليها احد بعده ، ولكنها تظل مطمح العشاق العرافين من الازل الى الابد ، « البحث » هو وحده مبحث مصطفى سعيد ، هو الحقيقة ـ الحق ـ هو الدليل والمحرض ، انه الطريق الى الانسان والانسانية .

وهكذا ، نلحظ أن جل المواقف في الرواية ، بدءا من الموقف الاجتماعي ، الى السياسي ، الى الحضاري ، الى نموذج الكاتب الانساني ، في شخص مصطفى سعيد ، ذات ابعاد انسانية عميقة الجذور .

على أن توكيد الكاتب ، على المواقف الانسانية وحدها ، غير كاف ، اذ غالبا ما يؤدى به ذلك الى أن يصبح « بوقا دعائيا » ، لا روح فيه .

ومن هنا ، وجب التوكيد على « روح » الموقف في الاثر الادبي ، وهو : الاسلوب .

« فالاسلوب هو الانسان نفسه » حسب (بوفون) وهذا ، يعنى بالضبط ، أن لكل كاتب منحى ابداعيا ذاتيا يختلف اصلا عن غيره ، وان توسل الكل باللغة ، فتشكيل اللغة فى صيغ ، وتراكيب ، عمل ثان بعد اللغة كمادة غفل ، أولى .

ومن هنا ، حاول الطيب صالح فى روايته « موسم الهجرة الى الشمال » أن يتخذ نهجا تعبيريا ، مستقلا يكون ارهاصا نفسيا مزاجيا خاصا ، وضربا من نبض القلب .

وهكذا ، فانه ، بدءا من هذا الافق ، سعى الكاتب ، الى معالجة القضايا مازجا بين المنحى الواقعى والمنحى الغنائى .

لنسارع بحد المصطلحين :

ان الواقعية فى الفن ، هى أسلوب تعبيرى ينبثق من واقع الاشياء ، دون أى اعتبار جمالى أو أخلاقى ، على انها مع هذا ليست عملية فوتوغرافية بلهاء ، انها الواقع تنضاف اليه ذات الكاتب .

أما الغنائية فعكس ، انها هروب من الواقع ، اعتمادا على عناصر الموسيقى والاقتناء اللفظى ، والخيال ، والتغنى بالذات .

على ان الطيب صالح ، لا يقتصر على المنحى الواقعى دون الغنائى ، أو العكس بل يمزج بينهما .

ويبرز هذا المزج معنويا وشكليا .

يبرز معنويا ، خلال تصرفات مصطفى سعيد وتحولاته .

مصطفى سعيد ، هو الشيء ونقيضه ، انه الطفل ـ الشيخ ، الحر ـ المتغرب ، الساكن ـ المتحرك ، الراحل ـ العائد ، الحاضر ـ الغائب ، العالم ـ الوغد ، الفاعل ـ المتفاعل ، انه هو وغيره فى آن .

تلك ، هي جدلية الوقائع والاحوال ، في حياة مصطفى سعيد المليئة بالغرابات ، والمفاجآت ، والاسرار .

هي ، اذن ، حياة غنائية ، مع أنها واقعية ، تذكرنا واقعيتها الغنائية ، أو غنائيتها الواقعية ، بتحولات رامبو الغريبة .

كما تبرز الوقائع والاحوال على الصعيد الواقعي ، الغنائي ، في كثير من المواقع الاخرى ، مثل قتل حسنة بنت محمود ود الريس ، وانتحارها ، لما زوجوها اياه غصبا ، فهذا أيضا قابل للوقوع Vraisemblable مع انه واقع درامي مليء بالدم والدمع والموت .

ومن هنا واقعيته الممزوجة بغنائية الحدث .

على أن هذا المزج ، يبرز شكليا أيضا ، كما أسلفنا .

فعلى مستوى الحروف والاصوات ، نلحظ ظاهرة هامة تتجسد في توظيف « الحروف » ، وتحميلها طاقة من المعاني والمداليل .

جاء على لسان الراوي ما يلي :

« كان البلد كعادته **صامتا** ، في تلك الساعة من الليل ، الا من **طقطقة** مكنة الماء على الشاطيء ، ونباح كلب من حين لآخر ، وصياح ديك منفرد أحس، بالفجر ، قبل الاوان يحاربه صياح ديك آخر ، ثم يخيم **الصمت** » .

يتردد حرف « الحاء » في النص ست مرات ، هو حرف مهموس ، له طاقة صوتية مشحونة بالأسى والشجن ، وله الى جانب موسيقيته ، أو « غنائيته » ، وظيفة تعبيرية ، هي : الوجد الشديد والتأمل العميق الذى يستغرقفيهالراوى وهو يطوف ليلا في القرية ، مستعيدا ذكرياته مع مصطفى سعيد الذى اختفى فجأة .

كما أستعمل الطيب صالح عمدا لفظة : « الطقطقة » محاكاة لصوت مكنة الماء التي تذكرنا بدق الطبل ، لأن حرفي (الطاء) و (القاف) شديدان ، يناسبان « واقعية » الصخب الصادر عن الآلة نفسها . والملاحظ أن مختلف هذه الاصوات ، يقع بين « صمتين » اذا صح التعبير :

- « كان البلد كعادته صامتا »

- ثم « يخيم الصمت »

فكأن البلد ، يستمع فى تلك الليلة الى سمفونية « واقعية » نابعة من القرية ذاتها ، تختلط فيها «الطقطقة» بـ «النباح» بـ «الصياح» ، ويتخللها صمت بين الفينة والفينة ـ وكأن ، لهذا « الصمت » أيضا وظيفة « واقعية ـ غنائيـة » فى آن معا ـ وهو ما يسمى فى علم الموسيقى Un Pause

أما ، على صعيد الكلمات ، فان الطيب صالـح يبالـغ فى انتقائها ، مبـرزا « واقعية » العبارة وغنائيتها فى آن : « .. تلامس وجهى نسمات الليل الباردة التى تهب من الشمال محملة برائحة زهور الطلـح ، وروث البهائم ، ورائحـة الارض التـى رويت لتوها بالماء ، بعد ظمأ أيـام ، ورائحة قناديل الذرة فـى منتصف نضجها ، وعبير أشجار الليمون » .

وهكذا ، فان فعل « تلامس » لـم يأت اعتباطا ، بـل عن قصد ان لـه دورا مزدوجـا :

فمن ناحية : محاكاته ما يتصف به النسيم من رقة ، ولطف ، وشفافية ، ومن هنا محاكاته للواقـع ، أو « واقعيته » .

ومن ناحية ثانية : « غنائيته » ، التى تتبدى لنا من تركيبه الايقاعى ، فهو على وزن : « تفاعل » ، ومعناه : القيام بالفعل تدريجيا ، هذا التدرج ، هو الذى يصبغ على الفعل تحركا بطيئا ، متناوبا فى الزمن ، يجسد ذلك خاصة (ألف المد) ، كما تبرز الغنائية ، الواقعية أيضـا ، فى استعمالات الكاتـب لروائح زهور الطلح ، والارض ، وقناديل الذرة ، واشجار الليمون .

ولم يستنكف الطيب صالح من ذكر رائحة « روث البهائم » ، لأن فى ذلك تعبير عن طبيعية الاشياء ، أو « واقعيتها » دون قناع ، ومع ذلك ، فان العبارة منتقاة حتما ، وقد ساقها الكاتب ليصدم بها القـارىء ، وهى تجسيد لفكـرة (هوڤـو) : « ان القبيح جميل » Le Laid est Beau

وقد وردت هذه الفكرة ـ تطبيقا ـ فى قصيدة « الجيفة » لبودلير .

ومن هنا ، كانت الالفاظ فى « موسم الهجرة الى الشمال » ، واقعية غنائية فى آن معـا .

فهل هى كذلك ، على صعيد الجملة ؟

أجل ـ ان الواقعية ـ الغنائية فى الجملة عند الطيب صالح ، تتكشف من خلال الصور الملونة الجميلة ، وعبر « تخييل » الواقع ، ويعتبر هـذا الواقـع المتخيل ، بمثابة « المعادل الموضوعى » Objective Corrélative لحالة الكاتب النفسية ، أو ، احدى شخصيات الرواية .

فحينما حاول الراوى اقناع حسنة بنـت محمود بالزواج مـن ود الريس ، كانت حسنة حزينة ، وكان الجو فى منزلها غارقا فى الظلام .

وساق الكاتب هذا الوصف :

« وانتشر دم المغيب فجأة فى الافق الغربى ، كدماء ملايين ماتوا فى حرب عارمة نشبت بين الارض والسماء ، وانتهت الحرب فجأة بالهزيمة » .

اللوحة هنا ، افراز « لدخيلاء » الراوى ، لذلك كانت لوحة دامية : « حرب » و « ضحايا » ، و « هزيمة » .

هى « حرب » بين حسنة بنت محمود ، والمجتمع السودانى بأعرافه،وتقاليده ونواميسه ، وهى « ملايين من الضحايا » : لأن قيم التمرد والثورة مشلولـة ، ومهددة بالقمع ، وهى « هزيمة » : لفشل الراوى فى اقناع حسنة مـن جهة ، و « هزيمة » ستمنى بها حسنة التى سيبنى بها ود الريس غصبـا ، من جهـة ثانيـة .

على أننا سنرى أن هذه الصورة ستتغير بتغير حالة الراوى النفسية :

فى طريقه الى الخرطوم ، استراح على رمل الصحراء ـ عند المساء ـ وكان مزاجه صافيا ، رائقا ، فساق حينئذ هذه الجملة : « انتهت الحرب فجأة بالنصر شفق المغيب ليس دما ، ولكنه حناء فى قدم المرأة » .

وهذا يعنى ، أن مزاج الراوى يختلف عن مزاجه خلال اللوحة السابقة .

هناك ، مزاج حاد ، متعكر ، وهنا مزاج مشرق صاف . هناك ، شفق من « دم وضحايا » وهنا شفق كالـ « حناء فى قدم المرأة » .

هناك « هزيمة » ــ وهنا : « نصر » .

هناك تشاؤم ــ وهنا أمل ، وتفاؤل .

وهكذا ، نلاحظ ، من جهة « واقعية » الشعور الباطنى او الحالــة النفسية المنعكسة عن حدث واقعى تفاعل معه الكاتب .

ومن جهة أخرى ، « غنائية » الصورة البديل للوعى الباطنى ، أو الصــورة ــ المقياس للتوتر النفسى ــ

أكيد اذن ، أن مزج الواقعية بالغنائية ، هو الطابع الغالب فى موسم الهجرة الى الشمال ، استنادا الى :

ــ الجرس الموسيقى ، فى مستوى : الصوت والحرف .

ــ الانتقاء اللفظى ، فى مستوى : العبارة .

ــ وتخييل الواقع ، فى مستوى : الجملة .

وهكذا يمكن ــ مما سبق ــ أن نستخلص ما يلى :

أولا : انسانية .. الطيب صالح فى موسم الهجرة الى الشمال ، استنادا الى تجليات المواقف الانسانية ، اجتماعيا ، وسياسيا ، وحضاريــا ، والى نمــوذج الكاتب الانسانى الذى يمثله البطل الرئيسى فى الرواية .

ثانيــا : « مزج الواقعية بالغنائية » ، الذى يبرز فى القصة : معنويا وشكليا. معنويا ، فى تحولات مصطفى سعيد ، وقتل حسنة بنت محمود ، ود الريس ، ثم انتحارهــا .

وشكليا ، استنادا الى أسلوب واقعى ــ غنائى ، تجسد فى المستوى الصوتى الحرفى ، ثم اللفظى ، ثم الجملى .

ان الطيب صالح ، هو : أورفيوس مقيما على الارض .

ذاك هو « موسم الهجرة الى الشمال » ، كلما أفرطنا فى الجــواب ، تكاثــر التساؤل ، انها ميزة كل أثر عظيم .

محمد كمــال المدائنى

ما تيسّر من أبجدية العشق والأحزان

شعر : البشير المشرقي

(1) أيّها الوطنُ الشّاعريّ متى
يَفتَحُ الفجرُ أبوابهُ المُغلَقهْ ؟
أيها الوَطنُ الشّاعريّ متَى
يفهَم الليلْ أشوَاقنَا المُحرَقهْ ؟

* * *

(2) أيهَا الوَطَنُ الشّاعريّ متَى
تحتَويني مرَافئُكَ الدّافئهْ
فأرى النُّورَ يَدْفَقُ مِنْ كلّ صَوْبٍ .. أرَى المُزْنَ يَهْمِي،
متَى وَطَنِي تَستعيدُ الخَمَائِلُ خضرَتَهَا الوَارفهْ ؟

* * *

(3) مَنْ تُرَى كَانَ يَعْلَمُ أنّي سَأَلقَاكِ فَوْقَ الطّريقْ ؟
طَرِيقُ المَسَاكِينِ وَالبُؤسَاءِ طريقي ..
مَنْ تُرَى علّمَ الوَرْدَ أنّ المَوَاجِعَ لاَ تنطَفِي
وَالمَسَافَاتِ لا تنتَهِي ؟

* * *

(4) قَالَ لي صَاحِبِي : أنْتَ غَنَّيْتَ للحُزْنِ كُلَّ حَيَاتِكَ
هَلْ فَهِمَ الوَرْدُ مَا قُلْتَ ؟ هَلْ أدْرَكَ اللَّيْلُ مَعْنَى غِنَائِكْ ؟
قُلْتُ : لا الوَرْدُ يفْهَمُنِي .. لاَ اللَّيَالي التِي
عِشْتُهَا تُدْرِكُ الحُزْنَ فِي كلماتِي ..
غَيْرَ أنَّ الخَمَائِلَ تعلَمُ أنَّ الهوَى كَانَ سِرَّ حَيَاتِي
وَتَرْنِيمَةَ الفجْرِ في خَلَجَاتِي
أيهَا الوَطَنُ الشَّاعِرِيُّ مَتَى تحتَوِينِي ظِلالُ
الصَّنَوْبَرِ فيكَ ... متى تستقرُّ معَ اللّيلِ ذَاتِي ؟

* * *

(5) مَنْ تُرَى يرْكَبُ اليَوْمَ وَهْمَهُ مِثْلِي ؟
وَيَرْحَلُ فِي مُدُنِ اللَّيْلِ ، مَنْ يرْتَمِي فِي المَوَاجِعِ مِثْلِي ؟
إنَّهَا مَوْتَةٌ وَاحِدَةْ
مَنْ يُخلصُنِي مِنْ سنَابِكِ حُزْنِي
وَيَرْسُمُنِي للأسَى لَوْحَةً .. وَيُوقِعُنِي نَغْمَةً وَاعِدَهْ ؟.

* * *

(6) أيهَـا الضَّاحكُونَ عَلَيَّ !
أيُّهَا المُنكرُونَ قَصَائدَ حُزْنِي !
أنَا يرْقُصُ اللَّيْلُ بَيْنَ عُيُونِي وَيَنْغَرِسُ الوَجْدُ فِي مُقْلَتَيَّ
اضْحَكُوا . وانْكرُوا إنَّنِي عَنْكُمْ ضَاحِكٌ
كُلَّمَا أنتُمُ تَضْحَكُونَ عَلَيَّ !...

* * *

(7) بِلَوْنِ عُيُونك أقسِمُ أنِّي أمَارِسُ فيك انْعِتَاقِي
بِلَوْنِ عُيُونِكِ أقْسِمُ أنْ لَنْ أكُونَ كَصَفْصَافَةٍ تشْتكِي للسَّوَاقِي

بِلَوْنِ عُيُونِكِ أقسِمُ أنِّي سأفتَحُ نَافِذَةً فِي حَيَاتِكِ منهَا أطِلُّ
عَلَى مُدُنِ الدَّهْشَةِ الرَّائعَهْ ...
بِلَوْنِ عُيُونِكِ أقسِمُ أنِّي شِفَاهٌ تَحِنُّ إلى قُبْلَةٍ ضَائعَهْ
فَاسْكُنِينِي إذَنْ ... وَاغْدُرِينِي إذَنْ
مِثْلَمَا يَغْمُرُ المَوْجُ شُطْآنَنَا
وافهَمِي فِي النِّهَايَةِ يَا قِصَّتِي الرَّائعَهْ
أنَّ هَذِي الحَيَاةُ بِلاَ مُدُنٍ لِلْهَوَى رِحْلَةٌ ضَائعَهْ !

★ ★ ★

(8) كُنْتُ فِيمَا مَضَى لَيْلَةً مُمْطِرَهْ
كُنْتُ فِيمَا مَضَى رَوْضَةً مُقْفِرَهْ
كُنْتُ فِيمَا مَضَى ... ! ثُمَّ جِئْتُ مُهَلِّلَةً
فَانطَوَى كُلُّ مَا كَانَ ! يَا وَجْهَهَا إنَّنِي عَاشِقُ
فَاشْهَدِي يَا جَدَاوِلَ أسْكَرَهَا البَوْحُ أنِّي إذَنْ صَادِقٌ
وَاسْتَرِيحِي عَلَى عَاتِقِي يَا حَمَامَةَ حُبٍّ
أرَاهَا تُفَاتِحُنِي بالهَوَى فَالهَوَى رَائِقُ !

★ ★ ★

(9) عَلَّمَتْنِي الجَدَاوِلُ كَيْفَ أحِبّ
عَلَّمَتْنِي الجَدَاوِلُ كَيْفَ أوَاجِهُ مَا يَعْتَرِينِي مِنَ الوَجْدِ
كَيْفَ أبِيعُ مَشَاتِلَ عُمْرِي بِلَيْلَةِ حُبٍّ
عَلَّمَتْنِي الجَدَاوِلُ أنَّ السَّنَابِلَ لاَ تَنْتَشِي دُونَمَا قِصَّةٍ ..
دُونَمَا هَمْسَةٍ
مِنْ فُؤَادٍ مُحِبٍّ
عَلَّمَتْنِي الجَدَاوِلُ أنَّ المَوَاسِمَ حَالِمَةٌ أبَدَا
وَالنَّوَارِسَ رَاحِلَةٌ أبَدَا ...

(10) أفَـاتحُـكُمْ أوّلا بانْهِيَارِي
أفَـاتحُكُمْ ثَـانِياً بانْكِسَـارِي
أفَـاتحُكُمْ ثَـالِثاً بِتَقَـاسِيمِ حُـزْنِـي وَطُـولِ انْتِظَارِي
أفَـاتحُكُمْ رَابِعـاً .. خَـامِساً .. سَـادِساً .. سَـابِعاً ..
بِـالأسَى فَـافْهَمُـوا مَرّةً أنّكُمْ دَائِماً فِي قَـرَارِي
فَلَوْلا كُمُ لَمْ أكُـنْ طَـائِـرًا
وَلَوْلا كُمُ لَمْ أكُنْ زَوْرَقاً هَـازِئاً بِالبِحَـارِ

* * *

(11) غَدًا إن رَحلت بجسمي غدا ... وَلَمْ يبقَ غيرُ الشّذى وَالصّدَى
فَقولي : هُنَا قدْ ثَوَى شَاعِرٌ ... عَلَى رَمْسِه يَسْتَرِيح النّـدَى
عَلى شَدْوَةٍ يرْقُص النّهر فَجرًا ... فَمَا أسْعَدَ النّهْرَ .. مَا أسْعدَا !
غَدًا إنْ رَحلْتُ وَهزّك شَوْقٌ ... إلي فَلاَ تطْلُبِي المَوْعِـدَا
فَسَوْفَ أرَاكِ شُمُوساً شُعَاعاً ... وَزَهْرًا يَرِفّ بِرَغْمِ المَـدَى
وَأبْقَى أرَاكِ بِـدونِ عُيُونٍ ... وَيَبْقَى الهَوَى بيْننَا المَوْرِدَا .!

* * *

(12) رَشْفَـةٌ مِنْ رَحِيقِكِ تُطْفِىءُ نَـارِي
رَشْفَةٌ مِنْ رَحِيقِكِ خَضْرَاء تَنْزَعُنِي
فِي البَيَادِرِ نَرْجَسَةً .. آه يَا وَطَنَ الإخْضِـرَارِ !
كَمْ أنَـا مُتْعَبٌ .. كَمْ أنَـا مُتْعَبُ !!

البشير المشرقي

السجن والسجان

قصة : محمد الباردي

كان الفضاء رحبا وكانت الشمس كقطعة الجليد وكان يمشى . عيناه شاخصتان لا يريد أن يلتفت الى الوراء .

أعطنى حريتى ..

كان السجان واقفا كالعمود وكانوا فى المعتقل اربعة، وكان يجر المحلق فى بطء وهو يصفر ممسكا بيده المرآة الصغيرة التى جاءته هدية .

ـ كأنك ستدخل على زوجتك هذه الليلة .

ظل يصفر وظل المحلق يمر فوق الذقن فى بطء . وكان السجان واقفا كالعمود .

ـ دائما هكذا تفعلون تحرنون فى آخر لحظة كالاحمرة التى تتنشق رائحة البول على قارعة الطريق .

وعندما تسجنون تكونون من الاوائل الذين يطلق سراحهم .

عبر قضبان الباب الحديدية كان السجان واقفا .

آه لو أمتلك عنقى !

ـ أنذال متواطئون .. تتخالفون حتى مع الشيطان عندما تقتضى المصلحة .

كان المحلق يمر فوق الشارب . عبر قضبان الباب الحديدية كان السجان يدخن .

ـ أنذال دائما أنذال نحن المخطئين حشرونا معكم كالجرذان. تعسف جديد يسجل على حساب الحاكم .

وضع المحلق على الارض وظل ينظر فى المرآة الصغيرة .

ذات يوم قالت ريم السعداوى : ما فى وجهك شىء يثير اهتمام امرأة مثلى. ولكنى مع ذلك احببتك .

فعلا كانت ريم السعداوى امرأة جميلة لكنها كانت امرأة عاهرة . عرفتها على مدارج الكلية . كانت عاهرة يركبها المثقفون والثوريون ولكنهــا كانت تلقى دروسا فى السياسة ايضا . كنت اعلم انها لم تصدقنى قط . أكذوبة تحيكها باحكام فى كل مرة ولكنى مع ذلك ركبت طريقها .

عبر القضبان الحديدية كان السجان مع رفيقيه كانوا يجلسون القرفصاء ، يشربون الشاى ويدخنون .

ــ عالمان كذبة تخدمون بها مصالحكم ، نصف لكم ونصــف لغيــرهم وعلى الضعفاء السلام .

ذات يوم جلسنا معا بعدما لهثنا طويلا وجبنا شوارع المدينة وفــى النهايــة تعبنــــا .

قالــت :

ــ قصتى معك يبدو أنها ما زالت طويلة .

كنت ساكتا متعبا . فقد أدركت أنها أصبحت مصيبتى وأن الــدرب مــازال طويلا ولابد من شىء يمسك بى كهذه المرآة العنيفة .

وذات ليلة من ليالى الشتاء القارسة كانت الرياح تعصف عنيفة وكنت فى الحجرة الوحيدة كالفرخ مع أمى وكنت أعلم أن أمى تنتظر رجلها . ذلك العربيد الذى يجىء كل ليلة مترنحا فيركلنى بقدمه القاسية .

ــ ابعــدى عنى هــذا الولــد ..

وانكمش على نفسى كالقنفــذ .

وكنت أستمع اليه . كان يرمى جسده الثقيل على الفراش ويلتصق بجسد أمى وكنت استمع الى أمى وهى تقول :

ــ الولــد يا رجل .. الولد .

ــ اللعنة على هذا الولد .. أنا تزوجتك أنت ولم اتزوج الولد .

واسمعه يلهث فوق جسدها فأخفى رأسى وأنكمش وفى تلك الليلة كان سكره شيطانا قبيحا .

ركلنى برجله وأزاح عنى الغطاء . ثم أمسكنى من ذراعى وجرنى خارج الحجرة وكانت الرياح تعصف كانت الرياح تشتد. كنت استمع الى صياح أمى وتوسلاتها ولكنه لا شك كان يغتصبها .

ــ أخرج ابحث عن أبيك . أنا تزوجتك أنت يا خديجة ولم أتزوج الولد .

كان السجان جالسا مع رفقيه ، كان يضحك ويكشف عن اسنانه المتعفنة.

أخذ المنشفة ومسح وجهه .

ــ لم يكن لى وجه كهذا الوجه .

كان الخال يجوب شوارع المدينة بعربته وكان البغل يئن تحت الاثقال ، وذات يوم مسح عرقه وقال لى :

ــ يا ولد اختى .. يجب ان تعرف كيف تفك الحرف ، سأعلمك ، ولكنى تعبت فساعدنى على هذه العربة .

ومنذئذ أصبحت عندما اترك المدرسة اركب العربة وأجوب شوارع المدينة . فى أول الامر كانت جولاتى عديمة الجدوى ولكن الخال فى بعض الاحيان كان يوقظ العنف فى قلبى فيعتريه غضب جنونى ويصفعنى :

ــ اين الفلوس يا ولد ؟

بكيت فى المرة الاولى ، ولكنى بعد ذلك قلت لنفسى:(يا ولد يجب ان تصمد) وصمدت . فكان عندما يصفعنى على خدى الايمن أدير له الخد الايسر فيصفعنى أيضا وأسكت . ولكنى كنت أصب غضبى على البغل وعلى المارة أيضا . فكنت أرفع السوط عاليا وأنزله نارا على البغل فأشق شوراع المدينة فى عنف وفى كل مرة أوقف حركة المرور واحدث فيها خللا واصبح يروق لى ان ارى المارة يتقافزون أمامى فى هلع وخوف .

ساعلم الناس الخوف فى الطريق وأعلمهم العنف أيضا .

وفجأة تعلمت العنف ، فقد أصبحت أغتصب حرفائى اغتصابا . يقف الحريف أمام العربات فاقفز اليه وأركل كل من يحاول ان يسبقنى ، اركله برجلى اضربه بالسوط ان لزم الامر . فكل الطرق متروكة .

ـ تفضل يا سيـدى .

ولا أناقشه الحساب . فأدعى أننى أقبل أى شىء وعندما اوصل البضاعة . أناقش الحساب من جديد فى عنف .

ـ هـذا دينارك ..

ـ لا .. اثنـان .

ـ ماذا تقـول يا ولـد ؟

ـ واحـد لى وواحد للبغـل .

ـ لم نتفـق على هذا يا ولـد .

فآخذه من عنقه وأصيح فى وجهه :

ـ اما ان تدفع أو أقتلـك .

وعندما يدفع اركب العربة وجبل من الثلج بدأ يدوب فى نفسى وعندما أصل الى البيت اصفى الحساب مع خالى : نصف دينار للبغل ونصف لك ونصـف لاقامتى وأضع النصف الآخر فى جيبى . فلقد كنت مغرما بقراءة الكتب .

منذ نهاية تعلمى الابتدائى أصبحت أجادل أساتذتى جدالا عنيفا الحص لهم كتب نجيب محفوظ والسباعى وكتبا أخرى ، وكلما أذكر زوج أمى وقد ركلنى ذات يوم والقى بى على قارعة الطريق احس أن هذه الكتب تخدعنى .

استلقى على الفراش متهالكا . كان الرفاق يتجادلون وكان السجان يقهقـه مع رفيقيه ومع ذلك كان الرفاق يتجادلون ...

كانت ريم السعداوى تتحدث عن الحرية والعوالم الثلاثة فى بيت من بيوت الطلبة . وكانت من حين لآخر تدخن فتنفث دخانا وكان الرفاق ينصتون فى عجب وكلهم ينتظرون الفرصة لكن ريم السعداوى كانت تعرف كيف تصطاد فريستهـا .

قلت يجب ان أصطادها قبل فوات الاوان وطفقت أتكلم ، وأصبحت الجمل والشعارات كالاحصنة اللاهثة على لسانى: ماركس، انجلس ، لنين ، ستالين،

شمس غيفارا ، هشي منه ، العوالم الثلاثة ، والامبريالية ، والإستعمار المباشر وغير المباشر ، والحزب الواحد ...

ثم وجهت لها السؤال امام العموم كالضربة القاضية .

ــ وهل تعتقدين أنك حرة عندما تفتحين فخذيك للرجال .

وضحك الرفاق وقهقهوا ورأيت الغضب فى عينيها القاحلتين ، فتداركت أمرى بسرعة وحولت المهزلة الى مأساة فتحدثت عن حرية المرأة فى مجتمع متخلف والاضطهاد والاستغلال .

ــ كلنا مستغلون ، لا فرق بين الرجال والنساء . عدونا واحد . واقتلوا هذا العنف الذى يعيش بيننا ونشتم رائحته فى كل شىء .

ولكنها أرادت اهانتى ، فقد نفثت دخانها وقالت :

ــ رجعى وجبان ... اخرج .

وعاودنى العنف فقمت اليها وصفعتها . وتركت الرفاق يندددون بى وخرجت

وفى المساء جاءتنى الى البيت . دقت الجرس ففتحت لها الباب . نفثت الدخان فى وجهى ثم دخلت الحجرة وطفقت تخلع ثيابها ثوبا ثوبا .

ــ ها أنا لك اغتصبنى .

كان الرفاق يتجادلون عن الحرية والاستغلال والاشتراكية . كانوا يقولون أى شىء وكان متهالكا على الفراش يسمع ثم نهض .

ــ بربكم المجوسى أتركونى .. سنتان فى المعتقل ، استمع اليكم .. الثورة ، الثورة ، الثورة .

كان أبى الذى لم أعد قادرا على ان أذكر ملامح وجهه فلاحا . كانت أمى عندما يغيب ذاك الفحل العربيد .. تجلسنى على ركبتها وتضع يديها على رأسى وتحدثنى ، كانت تقول لى كل شىء ، كانت تعتذر عن زواجها وكانت تقول :

ــ أبوك رحمة الله عليه كان رجلا لا يتعب ، يستيقظ قبيل الفجر ويذهب الى الحقل وفى المساء يعود وكان يقول لى : هذا الولد هو الذى سينسينى تعبى.

ثم مات فجأة هكذا فجأة ، أخذه الموت عنفا وقهرا وهو يصارع الموت قال : علمي هذا الولد يا خديجة وافعلي بنفسك ما تشائين .

وفهمت عندئذ لماذا سلمتني الى خالي .

فتح باب المرحاض واخذ يبول . كان الرفاق قد دخلوا في مشادة سياسية عنيفة .

ــ آه لو أمتلك عنقي لعلمتهم السياسة كيف تكون !

لقد غمرتني السياسة حتى النخاع . اصبحت في وقت ما أنظر الى كل شيء في هذا العالم بمنظار السياسة . عندما أقف أمام الخضار أو أمام الجزار أتحدث عن السياسة وحتى عندما أكون في المبغى اتحدث عن السياسة .

كنت أقف على أعلى مدارج الكلية وأخطب فيهم . اسب هذا وذاك والعن كل الاتجاهات السياسية في العالم وعندما أهبط أجدهم ينتظرونني في مكان ما على الطريق ويأخذونني ركلا ، كانوا يدوسونني بأقدامهم ويحطمون رأسي بعصيهم فأصبح كالحجر .

لقد قتل العنف قلبي .. لقد قتل العنف قلبي ..

وفي يوم ما أوقفني الشرطي ، اتهمني بكل الاتجاهات السياسية في العالم .

بماذا أرد على الاتهام .؟

رحمك الله يا أبي ! كان المعلم يأخذني من أذني ويأمرني : اقرأ . وكان الكتاب كل شيء بالنسبة لي لكن أمرا ما في بعض الاحيان يجعلني أحرن كالحمار الذي خلفه أبي . وذات يوم مزقت الكتاب وقذفت به في وجه المعلم . ربت خالي على كتفي في رقة وقال لي :

ــ يا ولد أختي أنت حر اصنع بحياتك ما تشاء .

وعدت الى المدرسة اهجم على الكتاب تارة فأحس كأن معلمي يركع امامي وأحرن أخرى فأطرد وأجلد وأجلد .

فى المعتقل صرخت فى وجوههم. قذفت العنف الذى فى سدرى، قلت لهم :

ـ يا سادتى . انى مهرج . نعم مهرج .. ضحكت منكم كثيرا ، كلام على اللسان تهريج فى السياسة والثورة لكنى يا سادتى لا أملك بندقية وورائى السراب وخيال الظل ولا شىء غير ذلك ، فلماذا الخوف ؟

كان السجان يضحك . أعجبته نكتة سمعها فى نشرة الاخبار وكان احد الرفاق يقرأ قصيدة لأحمد فؤاد نجم . أغلق باب المرحاض وجلس على حافة السرير ينصت .

جلسنا ذات مساء وجها لوجه . قالت ريم السعداوى وقد تصلبت ملامحها :

ـ لترجع الاقنعة ، كاذبة أنا وكاذب انت .. لنتزوج .

ـ ولكنهم يطاردوننى . أرى الشرطى يقف فى آخر الممر .

ـ لنتزوج الليلة وليكن ما يكون ..

وتزوجنا .

نظر الى وجهه فى المرآة فما ترك له المعتقل شيئا .

ـ لو أمتلك عنقى لمزقت هذه الافواه القذرة .

وقف السجان جادا . انفتح الباب ، وحده خرج

كان الفضاء رحبا . غمس أنفه فى الزام .

ـ يا ريم السعداوى . بعيدا عن الدجل عدت . ويا ليالى الدفء أقبلى .

محمد الباردي

كل عام و « الفكر » بخير

بهذا العدد تختم مجلة « الفكر » سنتها السابعة والعشرين راجية لقرائها إجازة سعيدة والى اللقاء مع أول عدد من سنتها الثامنة والعشرين فى بداية الموسم الثقافى القادم أول أكتوبر 1982 .

طيفك والأيام نوافذ

شعر: نور الدين فارس

يمرّ اليومَ طيفُك من خلال الريح والانـواء
يخترقُ التلالَ الزرقَ والأفـقَ الرمـاديَّ البعيـدَ ،
يُطِـلُّ من خلفِ المرافـيء والمشـاويرِ ..
يصادفنـي بجنْبِ النخلـةِ الفرعـاءِ أغرَقُ فيِ
مـدى صمتـي وتفكيـري
يمرّ اليومَ طيفُكَ ، يسردُ القصصَ القديمَ عليَّ ، يغمرُني ..
من الذكـرى بآلاف التصـاويرِ
يمرّ اليومَ طيفك من خلال نوافذِ الأيامِ يغسلُني .. بشلال من النور ..
يمـرّ اليـوم طيفك ، يزرعُ البسمـاتِ في وجهـي
وفـي وجـه المقـاديـرِ .

* * *

صغيرا كنت تحملني مطايا الوهم في زمـن الخـرافـاتِ
صغيرا كنتُ ألعبُ في دروب القرية السمـراء .. أمشـي ..
حـافيَ القـدمين في الأوحـالِ .. أعْدُو
في الحقـول بلهفـةِ الأطفالِ أقتنص الفراشـاتِ .
أعبِّـيءُ من شعـاع البدرِ سـلاّتي
وانشر في الغدير زوارقي الورقيـةَ البيضاءَ .. أُرْسلُها الى أغلى حبيباتي ..

محمَّلةً بخامات المشاعرِ والعبارات .
صغيرا كنتُ احلمُ بالضّحى الفضيِّ يولد في
صحارَى اليأسِ في عمق المتاهات .
وحين أفقتُ كانَ شتائيَ الثلجيّ يحفُرُ في جراحاتِي
وكانت قاطرات الليل من زمن تسافر قبل موعدها ،
وتتركني على برد المحطاتِ .

* * *

بدايتُنا ، وما اقسى البداياتِ !
بدايتُنا ، طريقٌ ضيقٌ .. يمتد في غيبِ المفازاتِ ..
وفي خطواتنا خوفٌ من الصدماتِ .. من غدرِ المسافاتِ ..
منَ الأمس الذي مازال يرمقُنا على بوّابة الآتِــي .

* * *

أنا تَعبٌ فضمّيني ..
الى صَدْرِ دَؤُوبِ النّبضِ والخلجاتِ .. ضميني
انا تعبٌ من الاسفارِ مِنْ سُفُنِــي وإبحَــارِي
من الخطر الذي ما انفكّ يُغرينــي .
عَبَرْتُ اليومَ كلّ شواطىءِ الإعصارِ
كل مسالك التيّـــار
حيثُ الوحْدَةُ السَّوْدَاءُ ما انفكّتْ تُضَيِّعُنِــي .. وتُشْقِينِــي
وجئتكِ ظامىءَ الشفتين ، مُدّي كأسَكِ المخضّلَ بالأطيابِ..واسقيني !
ومدّي راحتيكِ لتغسلي وجهي من الاتعــابِ .
من حُــزْني وتَخْمينِــي ..
وكوني اليومَ آخرَ نغْمَةٍ تحيا بأوتاري .. وتُحيينــي ..

نور الدين فارس

السؤال الصعب

قصة : أحمد الفهري

منذ مدة ونحن فى قريتنا حيارى تنهش أفئدتنا الحيرة وتنخر عقولنا المتعبة الاوهام والوساوس . لم نعد ننام ملء جفوننا ولم نعد نأكل بشهية خبز الشعير والتمر واللبن . ولم نعد نقبل على لعبة «الخربقة» بنفس الحماس الذى كان يلتهب فى نفوسنا .

أصبحت الشمس عندما تغيب تبعث فى أعماقنا أشياء حزينة بائسة بعد أن كانت بأشعتها الحمراء على أعالى منازلنا الطوبية تبعث فينا الامل فى إنتظار يوم جديد أكثر سعادة وهناء .. أصبح لسمرنا فى الليالى المقمرة طعم لا نستسيغه بعد أن كان شيئا نتلهف اليه كل ليلة لنستمتع بحكايات « راس الغول » و « الجازية الهلالية » ونفرغ ما فى صدورنا من اشجان وهموم ..

منذ ثلاثة أيام والسؤال المحير يدور فى أدمغتنا كالوجع .. سؤال يطرح فى كل مكان .. فى دكان الحلاق فى حلقات لاعبى الخربقة فى المقهى الصغير .. سؤال يلقى فى كل مناسبة وفى غير مناسبة ولا نجد له جوابا شافيا ينير السبيل ويزيح كابوس الحيرة والحزن عن أفئدتنا المضطربة وعقولنا المتعبة .

لماذا حبس المعلم عبد النبي نفسه فى البيت ؟

قد يبدو هذا السؤال بسيطا وسهلا ولكنك اذا حاولت أن تجد له جوابا فشلت فشلا ذريعا ورجعت خائبا وقد داهمتك فلول الحيرة فتوقن انك أمام لغز عويص الحل غامض كغموض الغريب الذى يجيء قريتنا زمن جني التمور.

لنبدأ أيها السادة الافاضل من البداية .. ربما تفهمون ما خفى من الحكاية..

في ذلك اليوم كانت السماء مغشاة بسحب خريفية رمادية .. وكانت قريتنا هادئة بين احضان الواحة الحبلى بعراجين الدقلى .. الجو ساكن والهواء ندي

يوحي بنزول الغيث .. وفي بطحاء القرية كان هناك بعض الاشخاص في انتظار قدوم الحافلة وقد ارتدى بعضهم قشابة لاتقاء قطرات المطر المنتظرة .. هؤلاء الاشخاص في الحقيقة ليسوا بمجهولين : هناك الاخضر القمراوي ، وهو ذاهب الى صفاقس رفقة ابن عمه قدور لاجراء فحص عند اختصاصي على أذنه التي ما فتئت تؤلمه منذ ثلاث سنوات ويجلب بالمناسبة بعض المواد الكيمياوية للقضاء على دودة الارض والاعشاب الطفيلية في بستانه ، وهناك أيضا حميد المروكي ، قيل : إنه سيرحل الى العاصمة ليشتغل حارسا لبعض المؤسسات هناك. أما سفرة مصطفى بوزيان وهو كما يدعى من قدماء المناضلين فقد بقيت مجهولة لحد الآن رغم أن بعض الشائعات تروج أن سفرته هذه تهدف الى الاتصال ببعض المسؤولين للحصول على منحة شهرية وقطعة أرض من أراضي الاحياء الجديدة بأطراف القرية .

في الناحية الاخرى من البطحاء كان « حمه الهامل » ناشطا في هذه الآونة.. كان ينظر الى السماء تارة وقد وضع يده على أم رأسه وتارة يتفرس في وجوه المارة مبتسما ثم مقهقها وفي بعض الاحيان يغمغم بكلام غامض ويتقدم نحو أحدهم ويطلب منه « دورو » فيتحرج هذا الاخير فيدخل يده الى جيبه ويقدم له قطعة نقدية صفراء فيتفحصها حمه الهامل جيدا ثم يرجعها اليه طالبا منه بالحاح « دورو » ويعثر عليه الاطفال فيتحلقون حوله ويدورون مرددين ضاحكين : « حمه الهامل .. سرواله مايل .. » وتمتد الايدي عابثة بموضع ما من جسده فيحاول التخلص منهم مهددا بقبضته عاضا على لسانه .. ولكنهم لا يحفلون بتهديده ووعيده فيستمرون في عبثهم .. وعندما يفشل في التخلص منهم يرفع عقيرته بالصياح مستغيثا بحموده الحلاق فيجيء هذا الاخير مسرعا وموساه في يده وحين يراه الاطفال يفرون تاركين حمه الهامل وهو يحاول ستر عورته ..

وتراءت من بعيد الحافلة وهي تتقدم مثقلة كوزة سارحة فاستدارت الاعناق واتجهت العيون الى جهة الشرق .. واقتربت الحافلة وعلى سطحها رزم واكياس واقفاص الجديان وأشياء أخرى وراءها سحب من الغبار ولما وقفت نزل بعض الاشخاص متعبين وصعد آخرون .. ولما غابت من جديد حبلى بكتل المتراصين خيم السكون على المكان ولم يبق في البطحاء الا رجل طويل أخذ يجول بنظراته هنا وهناك ثم تقدم نحو دكان حموده وتكلم معه بضع كلمات ثم رجع الى مكانه وحاول حمل ادباشه الكثيرة ولكنه عجز .. في هذه الآونة كانت قطرات المطر بدأت تنزل رذاذا فسمعت أصوات الاطفال يهزجون بأنشودة المطر ..

« يـا نـو يـا خـالتي .. »
« صبـي عـلى قطـايتي .. »
« قطـايتي ذهـب .. »
« نمشـي لـدار خـالتي .. »
« نلعـب الكعـب .. »

خرج حموده من دكانه ونادى حمـه الهـامل فجـاءه كاليربـوع المبلـل فطلب منه أن يساعد الرجل على حمل أدباشه وغمزه بعينـه وفـرك ابهـامه بسبابته خفية فتهلل وجهه وأنطلق الى مهمته خفيفا كالارينب .

فى اليوم الموالى كان خبر وصول المعلم عبد النبي قد انتشر فى قريتنا كلها كما تنتشر النار فى الهشيم .

كل من فى قريتنا صار يعلم الآن أن المعلم عبد النبي قد وصل وسيباشر عمله بالمدرسة الصغيرة .

ابتهجت قريتنا كثيرا حيث اننا منذ مدة طويلة ننتظر فتح المـدرسة ذات الفصل الواحد ووصول المعلم وها هى احلامنا تتحقق وآمالنا تزهر .

فى كل يوم يركض أطفالنا الاميال العديـدة للالتحـاق بمـدرسة القـرية المجاورة يذهبون فى الصباح وقد أخذوا معهم ما يلزمهم من طعام ولا يعودون إلا مع الاطيار العائدة الى أوكارها متعبين مجهدين .

منذ اليوم الاول الذى نزل فيه قريتنا أحببناه بصدق وعفوية رغـم أن فى عينيه أشياء غامضة وحزينة يكتمها .

يقول حموده الحلاق : « فى بعض الاحيـان يـزوروني فى حانوتى فيجلس هادئا وعلى شفتيه ظل ابتسامة حـزينة . اسـأله عن أحـواله وعن علاقـاته بتلاميذه الجدد فيجيبنى باقتضاب ويصمت . وعندما افرغ من اشغـالى اجلس حذوه واخرج علبة السجائر واقدم له واحدة فيجذب منها نفسا طويلا ينفثه فى الهواء ببطء .

ـ كيف وجدت قريتنا ؟

ـ بسمة الفجر اللطيفة تطل من نافذة الحلم على وجه الزمن المغبر .

ـ هل أنت سعيد بين ظهرانينا ؟

ـ سعادة الشحرور الفار من قيود الحضارة الى الآفاق الواسعة .

كان دائم الصمت لا يتكلم الا اذا وجب الكلام .. فى الاول حسبناه كارها للعيش معنا ولكن تأكد لنا العكس اذ أنه هو الذى طلب من الـوزارة نقلـه الى القـرية .

كالطائر المسكون بالاشجان كنا نراه يسير فى شوارعنا الضيقة وغالبا ما كنا نراه يتجول فى الواحة الساكنة يمشى ببطء واضعـا يـديه فى جيـوب سرواله الباهت اللون ..

تذكرنا بن جارنا عبد الكريم الملاخ وهو يحدث آباه فى حانوت الحلاق قال : « يا أبى منذ أول يوم دخلنا القسم مع معلمنا الجديد تعلمنا أن نحب الالـوان الهادئة اللطيفة لانها تتكلم بصمت وبدون ضجة لتقول اشياء رقيقة فى غاية الشفافية والسمو ، تعلمنا أن نعشق الازهار البرية ونعطـف على العصـافير فنرمى لها الحب وفتات الخبز » .

من يومها تأكد لدينا أن المعلم عبد النبى يحمل فى داخله قضية .. قضية ما تثقل كاهله وتجعله كنورس جريح يصارع العواصف ليصل الى الشـواطىء الـدافئة ..

الزمن هنا فى قريتنا يتمطط ويطول وكل الاشياء تمر رتيبـة حتى تفقـد نكهتها وطعمها إلا المعلم عبد النبي هذا الشخص الطويل كتلابيب أمسية شتائية حزينة ذو الوجه الباهت لونه الواعد بأشياء غامضة فانه يظل لغزا مستعصى الحل مفتوح المصراعين لجحافل الليل المجهولة..كل من فى قريتنا فهمناه جملة وتفصيلا إلا هذه الشخصية المتجذرة فى تخوم الحيرة ..

« لكى نتفاعل مع الاشياء لا بد أولا من فهمهما فهما دقيقا » .

انطلاقا من هذا المبدأ حاولنا بكل الطـرق والاسـاليب أن نستـدرجه فى الحديث ليفتح لنا قلبه وليحكى لنا عن نفسه وهمومه ولكنه فى كل مرة يردنا خائبين حائرين بأجوبته الضاربة فى أعماق المطلق ..

المعلم عبد النبي هذا الشىء المفتوح المغلق .

لم نر له شبيها فى أهالى قريتنا إلا فى مسعود الصامت هكذا يحلو لنا أن نسميه لكثرة صمته وانشغاله الدائم وكثيرا ما اتهم بالجنون والبلاهة فالمعلم

عبد النبي ومسعود الصامت يشتركان فى الصمت والتأمل وكثيرا ما نراهما يمشيان سويا وقطيع الماعز أمامهما وسحب الغبار ترتفع عند المؤخـرة وعند وصولهما الى ساحة القرية يودع المعلم عبد النبي صـديقه بكلمـات مقتضبـة ويمضى بينما ينهمك الآخر فى تشتيت القطيع على الازقة والشوارع ..

اليوم تمر ثلاثة أيام دون أن نرى له وجها .. ثلاثة أيام وأطفالنا يذهبون الى المدرسة ويعودون وفى عيونهم الصغيرة تساؤلات وأشياء حزينة .. ثلاثة أيام بأكملها لم يحضر بالمدرسة .. نحن فى الحقيقة لم نتعود على غيابه ، حتى فى أشد حالات مرضه فكان يتحامل على نفسه ويقوم بواجبه كاملا . لقد قال ذات يوم : « هؤلاء الاطفال يحتاجون الى عناية فائقة » .. ثلاثة أيام لم نر وجهه يصافحنا بطيبته وبراءته المعهودة ..

سألنا عنه كل الناس فما ظفرنا بجواب يريحنا .. سألنا حمـوده الحـلاق فأكد لنا جهله التام باختفائه وسألنا الراعى مسعود فحرك رأسه علامة النفي ولم ينبس ببنت شفة وظـل ينظـر الى الافـق نظـرات طـويلة .. نظـرات صوفي يستلهم من السماء معانى الحقيقة والاسرار الكبرى ..

اجتمعنا فى حانوت حموده الحلاق والحيرة تكاد تفتك بنا والاسئلة الموجعة تدور فى رؤوسنا المتألمة ..

ــ قد يكون ذهب الى أهله لزيارتهم .

ــ مستحيل .. فدكانى مفتوح طول النهار فلو ركب الحافلة أو أية سيارة أخرى لرأيته ..

غص الحانوت بنا فخرجنا الى الساحة ثم اتجهنا رأسا الى منزله فوجدنا بابه مغلقا .. وقفنا ننتظر بدون جدوى .. وضعنا آذاننا على البـاب ربمـا نسمـع حركة أو صوتا داخل المنزل فلم نسمع شيئا .. تعبت أرجلنـا من الوقـوف فاعترانا اليأس .. جلسنا على الارض صامتين ..

جاء حمه الهامل من آخر الشارع مهرولا وبعض الاطفال يلاحقونه فلما وصل قربنا تراجعوا عنه وأنصرفوا .. أخذ يحملق فينا الواحد بعد الآخر مبهوتا من صمتنا وسكوننا .. تلهى بعض الوقت بأكل تمرات وضعها فى حجره وبعد أن أتى عليها جذب قميصه الى فوق ليمسح فمه فظهرت عـورته .. اقتـرب من احدنا وطلب منه « دورو » فلم يجبه فتوجه الى غيره فلم يجبه وظللنا صامتين وفى أفئدتنا تفرخ الحيرة القاتلة .. غمغم بكلمات مجهولة ثم أطلق قهقهة طويلة وابتلعه طريق الواحة .

قال علي السائح المؤدب ساخرا : « لقد سمعت بعض الشائعات تقول: إن المعلم عبد النبي يقرأ كتب السحر والتعاويذ والشعوذة .. كذبت أول الامر ولكنى رأيته بهذه العين التى سيأكلها الدود يحمل كتبا كبيرة مجلدة ، انها كتب السحر ولا شك ، انى اعرفها جيدا ، ولكن الساحر لا يفلح ، اجيبونى الآن ، أين ذهب معلمكم هذا ؟ قد يكون فى قلب الصحراء حمله عفريت هناك وقد يكون فى تخوم الارض سجينا عند المردة ، ماذا تنتظرون من شخص امتهن السحر ؟ لقد علم اطفالكم ايها الجهلة الميوعة والجنون والبدع .. » .

انغرست كلمات المؤدب فى قلوبنا كالابر الموجعة .. فى الحقيقة ما صدقنا هذا الكلام ولا أعرناه أهمية .. اننا نعرف جيدا حقده على المعلم عبد النبي فمنذ أول يوم وضع رجله فى البلدة وهو يشهر به وبأساليب التعليم الحديثة ويتهم المدرسين بابتعادهم عن الدين فتجاهلنا قوله وما اصغينا اليه ..

رابطنا أمام الباب فى انتظار شىء ما يزيح الكابوس عن قلوبنا المكدودة ويجلى الاوهام عن عقولنا المتعبة .. الدنيا كلها حائرة حزينة لم يعد لها طعم نستسيغه .. أين أنت أيها المعلم عبد النبي لقد شغلت عقولنا وحيرت أفكارنا ؟

تركنا أشغالنا وواحتنا وها نحن امام بابك تدق فى قلوبنا نواقيس الالم والمكابدة فمتى تنجلى لحظات الوجع الممتد فى عتمة الجرح ؟ عيوننا أرقها النظر الى هذا الباب الواقف بشموخ يحجب الحقيقة ... قلوبنا تنغرس فيها مخالب الحيرة المنتشرة كالسرطان المرعب ..

وقف أحدنا فاتجهت كل العيون اليه .. وقف لحظات ساكنا كالجلمود ثم اتجه ببطء نحو الباب المغلق دون أن يتلفت الينا..وقف أمام الباب برهة..طرق الباب مرة .. مرتين .. ثلاث .. توقف الطرق انتظرنا شيئا ما .. انتظرنا ساعة .. ساعتين .. ثلاث .. اربع .. اجتاحتنا اعاصير اليأس من جديد .. وقفنا صامتين كجذوع اشجار مسلوبة الاوراق .. تحركنا راجعين فى حركات بطيئة رتيبة وقمر شاحب اللون يحتجب ببطء وراء غصن شجرة النبق العتيقة ...؟

أحمد الفهيري

— نفطه —

فردوس الجمال

شعر : حمادي الباجي

تَجْثُو لَدَيَّ عَرَائسُ الأَشْبَاحِ   وَتذُوبُ عبْرَ زُجَاجَةِ الأَقدَاحِ
وَأَرَاكِ أَنْتِ أَشِعَّةً أَزَلِيَّــــةً   سَكرَى تؤَلِّهُ فِي الظَّلامِ صَبَاحِي
وَاللَّيلُ يلْهثُ تحتَ جُنحٍ أحمَرَ   مُتَعَطِّشاً يرْنُو إلىَ مِصْبَــاحِي
وَلَقَدْ يَبِيتُ اللَّيْلُ منك مُخدَّرًا   فِي نشْوَةٍ مِنْ عِطْرِكِ الفوَّاحِ
وَتَمُوجُ نفْسِي بَيْنَ أفكارِي الَّتِي   فِيهَا تُسَبِّحُ للجَمَــالِ رِيَاحِي
لوْ لمْ يكُنْ لِي مِنْ جمالِكِ رَادِعٌ   لَغَدَوْتُ أَوَّلَ مجْرِمٍ سَفَّــاحِ
قد كدتُ أحرقُ للكرُومِ حقولَهَا   لوْ لمْ تغَرِّدْ فِي شفاهكِ رَاحِي
وَلَكم رَسمتكِ فِي محاريبِ الهوَى   وَعبدْتُ وَجْهَ اللهِ فِي أَلوَاحِي
وَتطيبُ لي النجوَى لدَيكِ وأنتشِي   بِلظَى الهُيَامِ وَأستلذُّ جِرَاحِــي
إنْ لم أذُبْ فِي مُقلتَيْكِ تبتُّلاً   فأنَا الشَّقِيُّ بعَالَمِ الأَرْوَاحِ
إنِّي خُلقتُ لكِي أرَاكِ على المدَى   فِي يقظتِي... فِي حُلمِيَ المِرَاحِ
وَأَرَاكِ فوْقَ اللاَّنهَايَةِ كالمَلاَ   كِ ترَفرفِينَ بألفِ ألفِ جنَاحِ
وَتهزّنِي أشوَاقِيَ الظَّمْأَى علَى   أَجْوَاءِ آمَالٍ لدَيْكِ فِسَــاحِ
يَا بَسْمَةَ الإشرَاقِ فِي دنيا المنَى   كم فيكِ أنتِ تزَاحمتْ أفرَاحِي
أحرَقتُ فيكِ مشاعِرِي فتطهَّرَتْ   وَتفجَّرَتْ فلَقاً مِنَ الإصْبَاحِ
وَعصَرْتُ فيكِ مدَامعِي فتدفَّقَتْ   شِعرًا كسيْلٍ عَارِمٍ مُجْتَاحِ

من قبل آدمَ قد عشقتُك في السما   وَإلى جفونك قدْ طرحتُ سلاحي
عريَان إلا منْ سنَاء طرّزَتْ   كفّاك منهُ في السمَاءِ وشاحِي
وتخذْت من صمتي عبارَات الهوَى   وَالصمتُ أبلغُ من مدَى الإفصَاح
وَتغنّت الأكوَانُ في شوْقٍ علىَ   همسَات لحنِي وَارتعاش صُداحي
وَترَاشقتْ حمُرُ الجنان على الربَا   بأزَاهرِ النسْرين وانتُفّـاحِ
وَتمازَجتْ في ظلّها الأضوَاءُ بيْـ   نَ بنفسجٍ وقرنفلٍ وَأقَاحِ
وَتراقصَتْ حتّى البحَارُ وَزَغردتْ   أمواجهَا في موْكبٍ صَـدّاحِ
وَكذَا الجبالُ فإنّها قد صفّقتْ   وَتمَايلَتْ بعرَائسِ الأدواحِ
وَثملتُ حتّى كدتُ أنسى الموْتَ وَالـ   قدَرَ الجريءِ وقبلتِي وَفلاَحِي .
فكأنّنِي أهتزّ في أرْجُوحَة   مجنُونَة في قبضَةِ الأرْيَاحِ
أوْ أنّني الفُلكُ التي تسري على   لججٍ تُخالفُ مقصَدَ الملاّحِ
أوْ أنّني كالنّهر يجرفُ في شوَا   طئه الحقُولَ بموْجه المجتاحِ
أوْ أنني كالفكرَةِ العميَاء تقْـ   ـصيها الشكوكُ عن السّنا الوَضّاحِ
وتمرّدتْ نفسِي كعاصفة الردَى   حتّى صحوْتُ وَقد كبحتُ جمَاحي
يَاأنْت .. هل من لفظَة أخرَى لأنْـ   ـتِ أقُولهَا تغنِي عن الإيضاحِ ؟
يَا فتْنَةً قدُسيّةً يَـا آيَــــةً   برزَتْ لوَجهِ الحقّ ذَاتَ صَباحِ
جعَلَتْ من الوَثَنِيّ أوّل مؤمنٍ   لله سبّحَ في تُقَـى وَصَـلاَحِ
إنّي أرَى حتّى الصّخُورَ لديك قد   هزَجَتْ بلحْنٍ سَاحرٍ صَدّاحِ
منْ لمْ يحرّكْهُ الجمَالُ فإنّهُ   أشقَى منَ الأوْثَانِ وَالأشبَاحِ
فَدَعي فؤَادي هَائِمـاً في نشوَةٍ   مُتَنَعّمـاً بسَعيرِك اللفّـاحِ
إنّي الأسيرُ لديك في دُنيا الهوَى   لا تطلقيني .. أمسكي بجنَاحِي
هذي السجُونُ ، أنَا بها حرّ فمَا   أحلَى السّجونَ وَما أمرّ سرَاحِي !

حمادى الباجى

مشكل الامتحانات

بقلم : عزوز عبد النبي

(*) - 2 -

وبناء على ذلك فاننا لو طلبنا الى عـدد كبيـر من الممتحنين تصحيـح نفس الاوراق بدون ان يكون البعض على علم بالآخر لاتضح لنا انه قليلا ما يكـون المصححون متفقين على قيمة الاوراق المطالبين بتقييمها وهذا صحيح بالنسبـة لمختلف درجات التعليم (التعليم الابتـدائي ـ والثـانوي والتقني والعـالي) وبالنسبة لبلدان مختلفة (كفرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة) وقد كشفت لنا عن هذه الظاهرة البحوث التي اجرتها لجنة كارنيجي والتي افضت الى نتيجتين هامتين .

الاختـلاف بين الممتحنيـن :

لقد قام السيدان يـوجيي وبيـارون والدكتور تولـوز والآنسة فاينبـازغ بتجربة تتمثل في تصحيح 166 ورقة من أوراق مناظرة التبريز في الجغرافيـا من طرف أستاذين من أكبر الاساتذة اشتهرا بالنزاهة والكفـاءة الا وهمـا : الاستاذ (أ) والاستاذ (ب) اللذين تعودا العمل مع بعضهما بعضا وقد قبلا ان يكونا موضوعا لهذا التحقيق وكانت النتيجة ان معدل الاعداد التي اسندها المصحح (أ) قد بلغ 7،90 على 20 بينما بلغ معـدل الاعـداد التي اسندهـا المصحح (ب) 9،10 على 20 وفي الجملة فان اعداد المصحح الاول كانت تتراوح بين 6 و 13 واعداد الثاني بين 2 و 18 بحيث ان الورقة التي تحصلت على عدد 5 من طرف الاستاذ (أ) قد فازت بعدد 14 من طرف الاستاذ (ب) .

هذا وان المصححين المذكورين لم يتفقا الا على الاعداد المسندة الى 20 ورقة من جملة 166 ـ اما بالنسبـة لبقيـة الاوراق الاخـرى ـ وعددهـا 146 ـ فان

(*) تابع لما نشر في « الفكر » ع : 9 ـ س : 27 ـ جوان 1982 .

الاختلاف في اسناد الاعداد يتراوح بين 1 و 13 فالواحد والعشرون ورقة التي اسند اليها الاستاذ (أ) عدد 5 قد اسند اليها الاستاذ (ب) اعداد تتراوح بين 5 و 15كما ان الاستاذين (أ) و (ب) لم يكونا متفقين الا بالنسبة لاحد عشر ناجحا في المواد الكتابية من 26 ناجحا وقد كان 15 مترشحا معتبرين ناجحين من طرف الاستاذين معا ـ ومن ناحية أخرى فان الاستاذ (أ) قد اسند عدد 7 الى 18 ورقة بينما الاعداد التي اسندها الاستاذ (ب) تتراوح بين 2 و 13 ـ وأخيرا فان المترشح الذي تحصل على الرتبة الثانية من بين 166 مترشحا ـ بالنسبة للاستاذ (أ) قد وضعه الاستاذ (ب) في الرتبة قبل الاخيرة أي 165 .

ولقد لوحظت اختلافات اكبر في مناظرة التبريز في الفلسفة ـ ذلك ان الاستاذين (م) و (ن) قد صححا 67 ورقة فبلغ معدل الاعداد التي اسندها الاستاذ (م) 11،20 بينما بلغ معدل الاعداد التي اسندها الاستاذ (ن) 11،60 ويتضح من ذلك ان الممتحنين متفقان في الظاهر على طريقة اسناد الاعداد ولكن اذا ما تمعنا في جملة الاعداد المسندة تبين لنا عكس ذلك حيث ان الممتحن (م) قد استعمل سلما أوسع من الذي اختاره زميله (ن) ذلك ان نسبة الشبه بين الاثنين لم تبلغ الا 24 بينما لو كانا على اتفاق تام بالنسبة لكافة الاعداد لبلغت هذه النسبة 100 .

فهذه الارقام في غنى عن كل تعليق ـ الا انها تكشف لنا بكل وضوح عن الاختلافات الموجودة بين الممتحنين مع الملاحظة ان المصححين (أ) و (ب) المشار اليهما اعلاه لا بد انهما قد قاما بمجهود كبير لتكتسي اعدادهما اكثر ما يمكن من الموضوعية وذلك لقبولهما المشاركة في هذا التحقيق .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان مؤسسة كارنيجي قد قامت باجراء بحثين لا يقلان أهمية من البحوث السابقة كانت الغاية منهما دراسة اوراق سحبت من مخبآت البكالوريا بفرنسا ـ فالبحث الاول كان يتعلق بدراسة مائة ورقة تبحث في المواضيع الآتية : اللغة اللاتينية ـ الانشاء الفرنسية ـ الفلسفة ـ الرياضيات ـ اللغة الانقليزية ـ الفيزياء ـ وقد استخرجت من هذه الاوراق 5 نسخ عهد بتصحيحها الى 5 مصححين اعتادوا المشاركة في امتحانات البكالوريا وبعد القيام بعمليات التصحيح تبين ان الفرق بين الاعداد المسندة على 20 الى نفس الورقة قد بلغ 13 نقطة بالنسبة للانشاء الفرنسي و 12 بالنسبة للفلسفة والترجمة اللاتينية و 9 بالنسبة للرياضيات والترجمة الانقليزية

و 8 بالنسبة للفيزياء ومن جهة اخرى فقد لوحظت فروق تساوى 5 نقط فى 32 % من الحالات بالنسبة للفلسفة و 25 % بالنسبة للفيزياء ولم يلاحظ فى اية حالة من الحالات ان اثنين من المصححين قد اسند اعدادا متشابهة فلم تكن نسبة الاتفاق هامة الا بالنسبة للاعداد الضعيفة (معدل 30 % أقل من 10 على 20) اما بالنسبة للاعداد التى تساوى او تفوق 10 على 20 فان هذه النسبة قد بلغت 13 % .

اما البحث الثانى فقد كان يتعلق بتصحيح 3 أوراق تخص مادة الانشاء الفرنسى من طرف 100 مصحح فلم تكن النتائج الحاصلة بأقل غرابة من نتائج البحث الاول فقد كانت الاعداد المسندة الى الورقة الاولى تتراوح بين 1 و 14 والاعداد المسندة الى الورقة الثانية تتراوح بين 3 و 16 اما الاعداد المسندة للورقة الثالثة فقد كانت تتراوح بين 6 و 18 .

هذا وان هذه الفروق تكتسى أهمية بالغة اذا كان الامر يتعلق بمناظرة من المناظرات ذلك ان العدد المسند يكتسب قيمة مطلقة وبذلك فهو يؤثر تأثيرا فعالا فى مستقبل كل مترشح من المترشحين .

وقد اجريت — على اثر هذه البحوث — عدة تجارب افضت الى استنتاجات على غاية من الغرابة نذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

— ان معدل الاعداد التى اسندها بعض المصححين المشهورين بالشدة الى مجموعة تتركب من 4 أوراق قد بلغ 12،40 بينما بلغ معدل الاعداد المسندة الى نفس الاوراق من طرف عدد من المصححين معروفين بالتساهل 11،40 وهذا دليل على ان المواقف الحقيقية لا توافق دائما المواقف المعلن عنها من قبل .

لقد استخرجت خمس نظائر من ورقة تتضمن الاجابة عن 10 اسئلة فى موضوع « مبحث العلامات » وقع طرقه من طرف احد المترشحين المزاولين لتعلمه بالسنة الثانية من الطب وسلمت الى خمس مصححين من بين الاساتذة المبرزين فى الطب ليسندوا اليها عددا يتراوح بين الصفر والعرين فكانت النتيجة تتلخص فيما يلى :

— فى 70 % من الحالات كانت الفروق بين الاعداد المسندة تفوق أو تساوى 2،50 على 20 .

ــ وفى 50 % من الحالات بلغت الفروق او فاقت 4،50 على 20 .

ــ وفى 20 % من الحالات كانت الفروق تساوى او تفوق 7،50 على 20 .

واليكم أمثلة أخرى من هذا القبيل :

تم تصحيح 3 ورقات تتعلق بمادة الانشاء الفرنسى من طرف 70 مصححا فكانت الاعداد تتراوح بين 1 و 13 وبين 3 و 16 وبين 4 و 14 وذلك بالنسبة لكل ورقة من تلك الورقات .

ــ كما وقع تصحيح الورقات التى سلمها 1532 مترشحا من مترشحى امتحان شهادة التعليم الصناعى من طرف 16 مصححا فكان معدل الاعداد المسندة تتراوح :

بين 7،34 و 11،60 بالنسبة لاختبار الفرنسية .

وبين 8،7 و 11 بالنسبة للرياضيات .

وبين 7،82 و 9،80 بالنسبة للتاريخ والجغرافيا .

ــ لقد اجرى تحليل احصائى لمعدلات الاعداد المسندة فى نفس المواد التابعة لاختبارات شهادة البكالوريا (دورة 1955 بفرنسا) من طرف 17 لجنة بالنسبة لشعبة الفلسفة و 15 لجنة بالنسبة لشعبة الرياضيات الى عدد من المترشحين قد وقع توزيعهم حسب الترتيب الابجدى اى الاعتماد على مجرد الصدفة ــ وقد اتضح من ذلك ان الفروق بين الاعداد المسندة قد كانت تتراوح :

بين 5،81 و 9،06 بالنسبة للاختبار الكتابى فى الرياضيات .

وبين 8،20 و 9،50 بالنسبة للاختبار الكتابى فى الفلسفة .

وبين 9 و 14،40 بالنسبة للاختبار فى العلوم الطبيعية .

اما نسبة النجاح فى الاختبارات الكتابية فقد كانت تتراوح حسب اللجان بين 48 و 61 % فى الفلسفة وبين 31 و 53 % فى الرياضيات .

هذا وان دراسة الاعداد المسندة فى الاختبارات الكتابية لشهادة البكالوريا قد اظهرت انه من الممكن نظريا ان نتحصل بواسطة العمليات الحسابية على

« العدد الحقيقى » بقطع النظر من الاعتبارات الشخصية الخاصة بكل مصحح من المصححين وللتحصيل على هذا العدد ينبغى ان يقع تصحيح كل ورقة من أوراق الامتحان من طرف عدد كبير من المصححين اعنى : 13 بالنسبة للرياضيات و 16 بالنسبة الى الفيزياء و 19 بالنسبة للترجمة اللاتينية و 20 بالنسبة للانقليزية و 76 بالنسبة للانشاء الفرنسى و 127 بالنسبة للفلسفة ـ اما بالنسبة للمواد العلمية وخاصة الرياضيات ، فالملاحظ ان الفروق بين الاعداد المسندة أقل من الفروق الموجودة بين اعداد المواد الادبية والفلسفية وذلك لعدم وجود مقاييس يمكن ان يخضع اليها جميع المصححين .

التغيير الحاصل بالنسبة لنفس الممتحن :

لقد أعيد تصحيح 37 ورقة مكتوبة بالآلة الراقنة من ورقات امتحان شهادة الاجازة فى الفيزياء من طرف استاذ قد قام بتصحيحها منذ ثلاث سنين ونصف ولم يعد يتذكر شيئا من عملية التصحيح الاولى فلوحظ فرق بين الاعداد المسندة لتلك الاوراق قدره 5 اعداد .

ثم سلمت نفس تلك الاوراق الى فتاة تبلغ من العمر 17 سنة وهى محرزة على الجزء الاول من البكالوريا (شهادة اللغة اللاتينية واللغة اليونانية) ولم يكن لها اى المام بالاسئلة التى كانت قد طرحت عن المترشحين كما انها لا تفقه شيئا من المصطلحات الواردة فى عنوان المواضيع المطروقة فى اختبارات الفيزياء .

فتبين من الاعداد التى اسندتها تلك الفتاة انها لا تقل مقدرة على تقييم أوراق الامتحان المذكور من الاساتذة الاختصاصيين فى المواد التى تتعلق بها تلك الاختبارات .

الامتحانات الشفوية اكثر خضوعا لعوامل الصدفة فى الامتحانات الكتابية:

ومن ناحية اخرى فان دراسة الامتحانات الشفوية اكثر صعوبة من دراسة الامتحانات الكتابية والملاحظات التى يمكن ابداؤها بخصوص اسناد الاعداد للاختبارات شفوية مثيرة للحيرة ـ فقد تم تسجيل اختبار شفوى فى مادة الفيزياء اجرى على 20 مترشحا ثم عرض الشريط على 16 استاذ من الاساتذة الذين تعودوا المشاركة فى الاختبارات الشفوية لشهادة البكالوريا فاسند كل

أستاذ عددا لكل سؤال أجاب عنه المترشح فكانت معدلات الاعداد التى اسندها كل استاذ تتراوح بين 8،30 و 13،40 وقد بلغ الفرق بين اقصى المعدلات 5،37 نقط .

والجدير بالملاحظة فى هذا الصدد ان المترشح الذى يحسن التعبير قد يترك انطباعات حسنة فى نفس الممتحن وقد يكون له تأثير سيء بالنسبة للممتحن الآخر ـ ذلك ان الاستاذ الممتاز لا يكون دائما ممتحنا ممتازا فالانسان لا يولد ممتحنا بل يصبح ممتحنا . ولقد كتب الاستاذ بيارون فى هذا المعنى ما نصه :

« اننا نكلف فى الوقت الراهن اناسا باجراء الامتحانات دون ان نهتم بالفات نظرهم الى طريقة اجراء تلك الامتحانات والى الاخطاء التى يمكن ان تنجر عن ذلك والى الاساليب التى ينبغى استعمالها لاسناد الاعداد الخ ... فكل واحد يتعلم بنفسه كيف تجرى الامتحانات فتكون الاخطاء التى قد يرتكبها فى هذا الميدان على حساب المترشحين او لفائدتهم فى كل من الحالتين على حساب النظام الاجتماعى ... فهنالك تضارب مريب بين الاهمية الشرعية التى نعلقها على الامتحانات والمناظرات فى نظامنا الاجتماعى الحالى وبين فقدان الرقابة والنقد بالنسبة للطرق المتبعة والنتائج الحاصلة فى هذا الميدان » .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فالملاحظ ان الامتحانات تعتمد اولا وبالذات على المعدل فالمترشح الذى يرسب فى مادة من المواد قد ينجح فى مادة اخرى ومثال ذلك ان 3 مترشحين أ ـ ب ـ ج ـ قد اجريت عليهم اختبارات فى مواد تكتسى نفس الاهمية فتحصل التلميذ (أ) فى المواد الثلاث على الاعداد الآتية : 15 و 10 و 5 وتحصل التلميذ (ب) على 10 و 10 و 10 اما التلميذ (ج) فقد تحصل على 5 و 10 و 15 وعلى كل فان هؤلاء التلامذة يعتبرون من الناحية النظرية فى مستوى واحد حيث ان كلا منهم قد تحصل على معدل 10 فى جميع المواد بينما هم فى الواقع مختلفون من حيث المواهب والمعارف فى كل مادة من المواد المعنية بالامر .

الطريقة المستعملة لاسناد الاعداد عرضة للانتقاد :

لقد أصبح المفهوم التقليدى لاسناد الاعداد متعرضا أكثر فأكثر للانتقاد ذلك ان كثيرا من المربين صاروا يرفضون رفضا باتا هذا النظام الذى يرجع بالوبال على التلامذة لا فى آخر دراستهم فحسب بل طوال مدة الدراسة .

ان الطريقة المتبعة لاسناد الاعداد المرقمة من صفر الى عشرين تقتضى قيام جميع التلامذة بعمل واحد حسب نظام واحد ونسق واحد ـ وهذا من شأنه أن يضر بمصلحة ضعفاء التلامذة فان تحصيلهم على عدد ضعيف تكون نتيجته الاخفاق المدرسى بالاضافة الى ما يصيبهم من اهانة على رؤوس للملا ومن احتقار وآلام معنوية .

هذا وقد اصبح من المشين حقا ان نحصر فى رقم معين طفلا فى عنفوان تطوره له القدرة الكافية على التحول الفجىء خاصة وقد اصبح الآن من الصعب التفريق بين المجهود المبذول وبين المؤهلات الذهنية . فالعدد الذى يسند لتحرير من التحارير أو سؤال من الاسئلة خاضع بطبيعته لعوامل متغيرة كالعمل والمؤهلات الفكرية والمعلومات المكتسبة .

وتبعا لذلك فان المدرسة قد اصبحت غير قادرة على ابراز قيمة التلميذ الذاتية بل هى تعمل اولا وبالذات على اظهار نقائص التلميذ فلا تسعى الى توجيهه وذلك بالتعرف على مؤهلاته الذهنية والشعورية وهى تكرس جهودها لاقصاء التلامذة الذين ليسوا فى المستوى « المتوسط » معتمدة فى ذلك على سلم اعداد خيالى .

فالذى ينبغى تأكيده هو ان الاستاذ ليس بالحكم الذى لا يرحم والذى لا راد لحكمه بل خلافا لذلك فهو انسان يحاول اولا وبالذات ان يحبب لتلاميذه ما يقوم بتدريسه ـ اما العدد الذى يسنده فما هو الا اداة بيداغوجية تستعمل من بين عدة ادوات اخرى لكن فى الواقع أصبح ذلك العدد سلاحا يوجه ضد التلامذة كما انه اصبح يستعمل من طرف التلامذة فيما بينهم فالعدد يفضى فى آخر الامر لى الحسد والكبرياء والبغضاء وتلك هى المشاعر النبيلة التى نعتمدها لاختيار المترشحين الناجحين .

فيجب علينا ان نحاول تغيير عقلية برمتها حتى يحل الاختيار البيداغوجى الانسانى محل وزن المعارف المكتسبة ـ اما الاعداد فان كان لا بد منها ـ فينبغى ان تكون بمثابة العلامة القابلة للتغيير ذلك ان جمع عدد من الارقام التى ضبطت فى أوقات مختلفة من شأنه ان يفضى الى ضبط معدل معين وان يكسب الصبغة النهائية لكائن بشرى هو فى تطور مطرد ـ فالذى يجدر بنا فى مثل هذا المقام هو ان نقوم بملاحظة التلميذ بصفة مستمرة وذلك للتعرف على مؤهلاته الحقيقية وتقدير مدى استعداداته بصفة ادق وبذلك يتسنى لكل

تلميذ من التلامذة ان يعرف منزلته الحقيقية بالنسبة لبقية زملائه وان يطلع على ما وصل اليه من تقدم كما يتسنى لنا من جهتنا ان نتعرف على التلامذة احسن من تعرفنا عليهم بواسطة المعدلات الزائفة والرتب النسبية .

على ان تحوير نظام اسناد الاعداد يتوقف على تحوير برامج التعليم نفسها وأساليب التدريس ونوع العلاقات القائمة بين التلامذة واساتذتهم وهذا يقتضى تقديم التكوين على حشو الادمغة بالمعلومات حتى يسود جميع مراحل التعليم جو من الثقة المتبادلة فى كنف العمل المثمر ـ فلا يعتبر الفشل مسا بالكرامة ويتحتم ان يحل المفهوم الصحيح للاختبار محل المفهوم ـ المتعلق بالمحاولة ـ .

اصلاح الامتحانات واهداف التربية :

وعلى هذا الاساس فانه يجب تعويض الامتحانات التقليدية بأساليب جديدة أقل خضوعا لعوامل الصدفة وأكثر موضوعية واشد قدرة على توجيه التلامذة لا عن طريق الخيبة والفشل بل عن طريق المؤهلات والنجاح .

هذا وان ضرورة هذا التغيير قد اصبحت الشغل الشاغل للمسؤولين عن التربية والتعليم فى العصر الحاضر من ذلك مثلا ان ندوة وزراء التربية بالبلدان الاروبية المتفرعة عن المجلس الاروبى قد لاحظت فى سنة 1967 « ان الامتحانات التقليدية حسب ما هى منظمة من اغلب البلدان قد استحالت الى عمليات اختيار بل قل : عمليات اقصاء الغرض منها حرمان الشبان بصفة نهائية من تنمية مواهبهم البشرية .

ففى هذا العالم الذى هو فى تحول كامل اصبح من واجب المدرسة ان تفرض استعمال اساليب بيداغوجية جديدة تعتمد « على مراجعة جميع الامور واستنباط طرق جديدة » كما اصبح من الضرورى التفكير فى اعادة النظر فى محتوى التربية واهدافها حتى تصبح قادرة على تهيئة الشبان الى تربية مستمرة .

تنويع التعليم :

لقد كان التعليم فى الماضى مختصا بنخبة محدودة العدد . اما اليوم فانه قد اكتسى صبغة جماهرية « مما افضى الى الغاء مبدأ الاختيار والاصطفاء وتعويضه

بمبدأ التوجيه على اساس مؤهلات كل تلميذ من التلامذة ـ ذلك انه لا يمكن في العصر الذى نعيش فيه تطبيق نظام تربوى موحد وبرامج تعليمية موحدة بالنسبة لعدد أكبر فأكبر من الاطفال وهذا يدعو الى وضع نظام آخر للامتحانات يتماشى مع الهياكل الجديدة للتعليم كما انه يفرض علينا وضع مشكل اعداد الاساتذة والمنشطين اعدادا بيداغوجية يجعلهم قادرين على تعويض عقلية الاختيار القديمة بطريقة التوجيه ذلك انه ينبغى للمدرسة ان تحترم شخصية كل تلميذ وأن تساعده على تنمية مواهبه الخلاقة وذلك لا يمكن ان يتم الا اذا حاولت المدرسة ان تلائم مع مختلف اصناف التلامذة واجتنبت تجريدهم من كل ما يمتازون به من مؤهلات بدعوى ان تلك المؤهلات لن تندمج فى اطار محدد من المفاهيم المقامة على مبدأ الامتيازات .

فان التقدم المدرسى قد أصبح متوقفا على عدد من العوامل المرتبطة اشد الارتباط بحالة التلميذ الشخصية وبالطرق المستعملة لتدريسه وبالجو التربوى السائد فى قسمه وبناء على ذلك فان تقدير مجهود التلامذة ينبغى ان يكتسى صبغة قارة وان يعتمد على احكام واستنتاجات لا تعطى وزنا للنقائص فحسب بل تأخذ أيضا بعين الاعتبار مؤهلاته الشخصية حتى يتسنى لنا ان نعرف ما هو ذلك التلميذ عوض ان نعرف ما ليس هو . وعلى هذا الاساس فان «الامتحان يجب ان يقاس على التلامذة كما تقاس المدرسة عليهم» .

التربية المستمرة :

ويتضح من كل ذلك ان غاية التربية فى مفهومها الكامل الشامل تقتضى تحديدا لمحتواها فقد كتب السيد رونى ماهو مؤخرا فى هذا المعنى ما يلى : ان تقدم المعارف البشرية يفرض على كل شخص فى نطاق التطور المستمر لحضارتنا ـ ان يجدد معلوماته ـ وبناء على ذلك فان التربية ينبغى ان ترمى لا الى تلقين معلومات قد ضبطت ضبطا نهائيا بل الى تلقين الناشئة من التعلم والتعليم المستمر .

ويمكن ان نذهب الى ابعد من هذا فنقول ان مدرسة الغد لا ترمى الى تلقين المعلومات ولا الى تلقين طريقة التعلم والتعليم الى هدف آخر الا وهو : «ان يتعلم الانسان كيف يصير» ذلك ان الشخص اذا ما تمكن طوال حياته من التعلم لم تعد هناك كما هو الشأن الآن « فترة معينة للدراسة تتوج بالاحراز على شهادة من الشهادات بل ان تكوين الفرد ينبغى ان يستمر وان يتجدد على الدوام ـ وبهذا تزول جميع الفوارق التى نشاهدها اليوم بين ما تتصف به الحياة المدرسية من صفات سلبية وبين ما نعيشه من حياة اجابية وعملية .

فلم يبق اليوم سن خاص بالدراسة بالنسبة للانسان ولم يعد هنالك « تلامذة » و « طلبة » يعتبرون عناصر غير نشيطة يعيشون على هامش المجتمع فكل ما هنالك هو انسان يدرس ويعمل فى نفس الوقت ـ ذلك ان التعليم ينبغى ان يكتسى صبغة تدريجية وعندئذ يصبح الامتحان نقطة انطلاق لا نقطة انتهاء فالتحصيل على المعلومات يجب ان يتبع خطا مستقيما لا نهاية له.

وبناء على ذلك فانه يمكن ان نحذف خلال الفترة الدراسية معظم الامتحانات الموجودة الآن وتعويضها بطريقة تقييم معلومات التلامذة بصفة مستمرة ، مع تكوين ملفات تثبت فيها جميع المعطيات التى يقوم بتقديمها المربون والمستشارون من علماء النفس والاطباء والمرشدات الاجتماعيات وبذلك يتسنى للتوجيه ان يقوم مقام الاختيار المفروض قهرا وذلك بالاعتماد على معرفة شخصية التلامذة ومؤهلاتهم البدنية والعقلية وتطورهم مدة الدراسة ومستواهم المدرسى ومصالحهم الخاصة وامكانياتهم الذهنية وهكذا تصبح الشهادة المسلمة لكل تلميذ من التلامذة تتويجا لامتحان عميق مستمر تجمع نتيجة سنة فسنة حسب صيغ واضحة يقع درسها ابتداء من مدارس الحضانة.

وفى انتظار دخول التربية المستمرة فى عاداتنا يجدر بنا .

ـ فى نطاق اصلاح التعليم ـ ان نتدارك النقص الذى نلاحظه فى النظام الحالى للامتحانات والمناظرة ولا جدال فى ان القيام ببحوث علمية فى هذا الميدان من الامور الضرورية لتوفير شرط من شروط نجاح التربية .

هذا وان تحوير النظام التربوى يتوقف على ايجاد الحلول اللازمة لمشكل اسناد الاعداد وتنظيم الامتحانات ـ وفى انتظار ذلك يمكن التفكير فى اتخاذ اجراءات انتقالية للتخفيف من الصبغة العرضية التى تكتسيها الامتحانات ولتخليصها من تأثير عوامل الصدفة وهذه الاجراءات تتعلق بالمسائل الآتية :

ـ الامتحانات وتجديدها بحسب الاهداف التى يرمى اليها كل امتحان .

ـ طرق اسناد الاعداد .

ـ استعمال الوسائل الموضوعية .

الاختـــيــــارات :

ان تحديد هدف امتحان من الامتحانات يرجع الى معرفة الغاية التى يـرمى اليها تنظيم ذلك الامتحان أهو احصاء المعلومات التى تحصل عليها المترشحون لاختيار من هم أهل أكثر من غيرهم للقيام بوظيفة من الوظائف ؟ أم هو مراقبة المعلومات التى تحصل عليها كل مترشح ؟ أم هو تقدير مستـوى المترشح الذهنى ؟ وان الامتحانات يجب اعتبارها ـ كما يقول بيارون ـ الحد الفاصل بين احصاء المعلومات التى تحصل عليها المترشح وبين تقييم مؤهـلات ذلـك المترشـح .

واما امتحانات ختم الدراسة فينبغى ان تهدف الى مراقبة المعلومات بصفة اجمالية لا بصفة خاصة بحسب برنامج وقد تحديده مسبقا . وفى الواقع فانه يمكن ـ بطريقة من الطرق ـ التعرف على مدى المعلومات التى تحصـل عليهـا المترشح وتقدير مؤهلاته بدون اعتبار لعوامل الصدفة .

فاذا ما توفقنا الى تحديد اهداف الامتحان اصبح من اليسير ضبط برامـج ذلك الامتحان واختباراته ومن ناحية اخرى فانه اذا ما اخذنا بعيـن الاعتبـار مستقبل المترشحين ويجب علينـا ـ للتعـرف على مؤهـلاتهم ـ ان نستنبط اختبارات لا تستوجب اى تحضير فى العاجل ولا تستلزم استعمال اى طريقة تعتمد على الذاكرة .

التعرف على معلومات المترشحين :

يقترح لوجيى وياينبارغ استعمال اختبارات تمكن من معـرفة المستويـات المدرسية فى اطار عام « ينبغى ـ بقدر الامكان ـ تعويض الامتحانات الكتابية التقليدية ـ او على الاقل البعض منها ـ باختبارات تكون صالحة للتعـرف على معلومات المترشحين وذلك لا بالنظر الى برامج قد حددت مسبقا بل بالنظر الى المعلومات التى تحصل علها بالفعل تلامذة من ذوى المواهب المتوسطة فى كل مادة من المواد وهذا من شأنه ان يمكن من معرفة المكان الذى يحتله كل تلميذ من بين مجموع التلامذة الذين هم فى سنه او التابعين لقسمه .

ولتحقيق هذه الغاية ينبغى ان يقع بالنسبة لكل مادة اختيار اختبارات ذات صعوبة تدريجية تتعلق بمجموعة من المشاكل الخاصة بتلك المـادة . فـاذا ما

حددنا معارف التلميذ المتوسط فى الفرنسية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والفيزياء الخ ... امكننا ترتيب التلامذة بالنظر الى التلميذ المتوسط وتقدير تأخرهم أو تقدمهم فى الدراسة .

والوسيلة الوحيدة لاجتناب ما قد يحدث من تعثر وللزيادة من حظوظ النجاح بالنسبة للمترشح تتمثل فى الاكثار من الاسئلة التى يجيب عنها المترشحون بنعم او بلا ووضع علامة على الاجابة الصحيحة التى يبغى ان يختارها المترشح من بين الاجابات العديدة المقترحة .

الاسئلة ذات الاختيارات المتعددة :

لا شك ان طرح اسئلة ذات اختيارات متعددة يوفر للحكم اكثر موضوعية وذلك بالقضاء على ما للمصححين من تأثير شخصى من المعلوم ان هذا النظام اصبح سائدا فى كثير من البلاد نظرا للفوائد التى من شأنها ان تنجر عنه .

ففى فرنسا مثلا اصبحت امتحانات الطب فى بعض الكليات الهامة تشتمل منذ سنة 1961 على أسئلة يجيب عنها المترشحون باختيار اجابة من بين عدة اجابات يتراوح عددهم بين 3 و 9 ويتوقف عدد تلك الاسئلة على مدة الاختبار بحساب 60 سؤالا فى الساعة ويختار كل استاذ من الاساتذة المكلفين بالتدريس فى كلية من الكليات اسئلة الامتحان من بين الاسئلة المجمعة فى « بنك الاسئلة » الذى يمول عن طريق اشغال تقوم بها لجان التحرير المتركبة من عدد من الاساتذة ــ فكل سؤال يقترحه احد الاساتذة تقع مناقشته من طرف جميع اعضاء اللجنة ولا يتقرر ابقاؤه الا بعد ان يتفق الجميع على قيمة محتواه ودقة تحريره ــ ولكن لا يحدث هذا النوع من الامتحانات شيئا من الارتباك بالنسبة لبعض الطلبة فان المسؤولين يتولون اصدار نشريات لاعطائهم ما يلزم من المعلومات عن الاسئلة التى يمكن ان توجه لهم كما يقومون بتنظيم امتحانات تجريبية خلال السنة الدراسية وذلك لتدريب الطلبة على هذا النوع الجديد من الامتحانات .

هذا ويطلب الى المترشحين لهذه الامتحانات ان يجيبوا عن كافة الاسئلة ولو ان المعلومات التى تحصلوا عليها لا تسمح لهم بالاجابة بصفة ثابتة عن البعض منها . فهناك 9 انواع من الاسئلة تقابلها صيغ مختلفة من العمل الذهنى الذى يمكن ان يقوم به المترشح للاجابة عن تلك الاسئلة . وكل هذا يستدعى

استعمال اساليب فنية متشعبة لاختيار الاسئلة والاجابات المتعددة على كل سؤال .

والجدير بالملاحظة ان هذا النظام ولو انه يعتبر نسبيا جديدا فى فرنسا فقد مضى على احداثه زهاء الخمسة عشر سنة فى الولايات المتحدة ــ ذلك ان الاساتذة فى تلك البلاد يؤمنون « بتفوقه من حيث القيمة المطلقة وبدقته المتناهية وعدالته الفائقة » .

الامتحانات والاسئلة المدرسية :

ويمكن ان تضاف الى تلك الاسئلة التى تمكن من التعرف على مدى ما تحصل عليها المترشح من معلومات أساسية ، بعض الوسائل الاخرى الكفيلة باطلاعنا على درجة المترشح الثقافية وعلى قدرته على الادلاء بالحجج المنطقية اللازمة .

هذا واذا كان من المتحتم ان يتعلق التكوين التربوى حسبما يطالب به الاستاذ بيارون ــ بتنمية الملكات المختلفة والتصرف فى ادوات التفكير والتعبير واستعمال مختلف وسائل المعرفة من قواميس واطالس وكتب فالمهم فى هذا المقام ان يقع التوسيع فى نطاق اختبارات التوثيق حتى يتسنى للمترشح ان يعرف كيف يقرأ وكيف يحكم وكيف يرتب وكيف يعلق وان يكون قادرا على القيام بعمليات التحليل والتأليف واستعمال اساليب البحث اى ان يكون قادرا على استغلال كل ما اكتسبه من معلومات .

ولا شك ان امتحانا واحدا لا يكفى للحكم على المترشح لذلك ينبغى ان تكون المراقبة للمعلومات مستمرة طوال السنة ذلك ان الاختبارات الموزعة على السنة انجع من الامتحان الذى يجرى فى يوم واحد أو فى يومين فيجبر المترشح على الرهان فى بضع ساعات معدودة .

الملف المدرسى :

ان الاطلاع بانتباه على ملف المترشح المدرسى يخفف من الصبغة العرضية التى تكتسيها الامتحانات فبفضل ذلك لا يمكن ألقدح فى المجهود المبذول طوال سنة فقط على نتائج اختبارات قد اجريت فى جو غير عادى .

ومن ناحية أخرى ، ينبغى ان تكون الملاحظات التى يبديها الاساتذة حول نتائج المترشحين خاضعة لمقاييس موحدة .

نسبة الملاحظات التى يبديها الاساتذة :

لقد اجرى بفرنسا بحث يتعلق بـ 4860 تلميذ من تلامذة السنة الثانية من الدرجة المتوسطة تابعين لـ : 397 مدرسة شاركوا فى اختبارات موحدة فى مادتى الحساب واللغة الفرنسية وقع توزيعهم بحسب ملاحظات معلميهم على 4 أصناف .

وقد كانت نتيجة هذا البحث ان نفس المستوى المدرسى يمكن ان تصدر فى شأنه أحكام مختلفة باختلاف المعلمين وقد لوحظ بالخصوص ان التلامذة الذين وضعهم معلموهم فى صنف واحد لم تكن لهم معلومات متشابهة فالتلامذة الذين اعتبرهم بعض المعلمين ممتازين اعتبرهم المعلمون الآخرون دون المتوسط وهذا ناشىء عن الاختلاف فى المقاييس المستعملة من طرف كل معلم اذ ان المعلمين يحاولون ان يلائموا دائما بين احكامهم وبين المستوى المتوسط لتلامذتهم وقد تبين ذلك من البحث الذى اجرى بفرنسا فى سنة 1964 على 11026 تلميذ تابعين لـ : 409 قسم من الاقسام الثالثة اجريت عليهم اختبارات موحدة كانت نتيجتها ان المعدلات تتراوح بين 26 و 28 نقطة من جملة 80 نقطة بالنسبة للاختبارات فى الفرنسية وبين 8 و 38 نقطة من جملة 54 نقطة بالنسبة للاختبارات فى الرياضيات بحيث يكون مقدار الفرق 32و30 نقطة ـ فلا غرابة حينئذ ان نرى بعض المعلمين الذين يدرسون فى اقسام مختلفة المستويات لا يستعملون نفس المقاييس .

كما اجريت بحوث اخرى لمعرفة رأى الاساتذة انفسهم بخصوص المعلومات التى يطالبون بها فى الرياضيات وفى الفرنسية بالنسبة للاقسام التى يدرسون بها فكانت الآراء مختلفة كل الاختلاف فى هذا الميدان .

الاختبارات الموحدة :

ويجدر بنا للتغلب على هذه الصعوبات استعمال مقاييس موحدة فى كامل تراب الجمهورية للتعرف على المستوى العام لمعلومات المترشحين فى كامل انحاء البلاد ولتمكين رجال التعليم من تقدير قيمة التلامذة التابعين لقسمهم

من بين التلامذة التابعين لبقية الاقسام الاخرى والذين من المفروض ان يكونوا جميعا فى مستوى واحد .

وبالاضافة الى ذلك ينبغى الرجوع الى الملفات المدرسية التى تشتمل على ملاحظات قد ضبطت بأقصى ما يمكن من الدقة ـ اذ ان هذه الملفات ستقوم بدور فعال فى اصدار الاحكام النهائية .

اسناد الاعداد :

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلاجتناب الاخطاء الناتجة عن نظام المعدلات الذى أشرنا اليه فى مطلع هذا الفصل ينبغى تمكين التلامذة الذين لم يسعفهم الحظ فى القسم الاول من الاختبارات ـ حيث تحصلوا على معدل يساوى 7 على 20 ـ من تدارك هذا الضعف وذلك بفضل طريقة الاسعاف فى الاختبارات الشفوية .

وهذا ما اصبح جاريا به العمل بالنسبة للبكالوريا الفرنسية حسب النظام الجديد .

فى سبيل استنباط طريقة تحليلية لاسناد الاعداد :

والجدير بالملاحظة ان الاختبارات الموحدة تمكن من اسناد الاعداد وترتيب المترشحين بأقصى ما يمكن من الموضوعية وهذا لا يكون صحيحا الا اذا اختار المتحنون فى جميع الاختبارات مقاييس واحدة ـ وبناء على ذلك فقد اصبحت الحاجة ماسة لدعوة المتحنين الى التفاهم فيما بينهم لضبط سلم اعداد موحدة ومقاييس موحدة وذلك بالالتجاء ـ عند اسناد الاعداد ـ للطريقة التحليلية عوضا عن الطريقة الشاملة .

فيمكن مثلا عند تصحيح اختبار الانشاء الاتفاق على توزيع الاعداد العشرين المسندة لكل ورقة على النحو التالى :

- 4 نقط لفهم الموضوع .
- 8 نقط للمحتوى الثقافى (لمعلومات والافكار الشخصية) .
- 3 نقط للتعبير (الاسلوب ـ المفردات ـ الرسم) .

وذلك لان الطريقة الشاملة تخضع لمقاييس تختلف من استاذ الى آخر كما تختلف بالنسبة لنفس الاستاذ من ورقة الى اخرى وهكذا يتضح لنا ان هـذه الطريقة لا تمتاز بالمعدل ولا بالدقة ولا بالامانة .

فيتحتم اذن العمل على توحيـد المقـاييس المستعملـة من طـرف مختلـف المصححين وذلك باستعمال طريقة واحدة لاسناد الاعداد تكون خاضعة لمبادىء علمية مضبوطة .

توحيد طريقة اسناد الاعداد :

هذا ومهما تكن الصفات الاخلاقية والثقافية التى يتحلى بها المتحنون ومهما موحد ـ ينبغى ان تجتمع لجان الامتحانات قبل تصحيـح الاوراق وان يـوزع المترشحون على مختلف المصححين بصفة عرضية (حسب الابجدى مثلا) كما ينبغى اعلام كل ممتحن بعد اسناده للاعداد الاولى بمعدل تلك الاعداد من جهة وبالمعدل العام بمجموع المترشحين من جهة اخرى وبذلك يتسنى لكل ممتحن ان يراجع الاعداد التى اسندها وذلك لتقريب الشقة بينها وبين المعدل العام للاعداد التى اسندها كافة المصححين .

هذا ومهما تكن الصفات الاخلاقية والثقافية التى يتحلى بها الممتحنون ومهما يكن التشابه كبيرا بين امزجتهم فان جميع التحقيقـات التى اجـريت حـول موضوع الامتحانات قد اثبتت ان الطريقة المتبعة عادة لاسناد الاعداد تجعـل الممتحنين عرضة لارتكاب الاخطاء .

لذلك يتحتم المزيد من اليقظة للتحديد من الاخطاء المتركبة فى هذا الميدان وذلك مثلا بتعدد المصححين بالنسبة لكل ورقة من ورقات الامتحـان كلمـا سمحت الامكانيات بذلك او على الاقل باستعمال طريقة التصحيح المزدوج رغم ان هذه الطريقة لا تخلو من العيوب خاصة اذا كان مزاج المصححيـن الاثنيـن متشابها واذا ما استعملا نفس الشدة او نفس التسامح فى تصحيح الاوراق .

فالدور الذى ينبغى ان تقوم به لجنة الامتحانات وخاصة رئيسها هو العمل على ضمان الانسجام بين الاعداد المسندة واستعمال الشدة أو التسامح بحسب الحـالات .

وبناء على ذلك ينبغي ان نقوم بتربية الممتحنين وذلك باعلامهم انه **ليس من حق الممتحن ان يفعل ما يشاء** - هذا من جهة ومن جهة اخرى يجب علينا ان نحسن اختيار الممتحنين لضمان نجاعة الامتحانات من اختيار الممتحنين وتهيئتهم تهيئة فنية فلا بد حينئذ باعتبار كفاءتهم البيداغوجية وطباعهم القارة والامانة التى يتحلون بها عند اسناد الاعداد وسهول اتصالاتهم البشرية كما يجب تكوين الممتحنين تكوينا فنيا وتبعا لذلك فانه اصبح من الضرورى ادخال طريقة اسناد الاعداد فى برامج دور المعلمين وتنظيم اشغال تطبيقية حول هذا الموضوع واعتماد بعض الكتب - ككتاب هنري بيارون المتعلق بدراسة الامتحانات الذى استمدت منه عناصر هذه الدراسة - لتكوين كافة رجال التعليم تكوينا صناعيا .

وهكذا فان مشكل الامتحانات مبسوط علينا - معشر المربين - مع كل ما يتصف به من تشعب فيتعين علينا اعادة النظر فى نظام التعليم برمته اما فيما يخص الامتحانات فينبغى التفكير فى تنظيمها فى فترات متتابعة عوض جمعها فى فترة واحدة آخر السنة كما ينبغى اختيار المترشحين فى أوقات مختلفة وتمكينهم من طرق مواضيع متنوعة وتكليف عدة اساتذة بتصحيح الاختبارات بعد تهيئتهم للقيام بهذه المهمة واكساء الامتحانات صبغة « انسانية » وذلك بالتخفيف من الحيرة التى تتملك المترشحين مدة الامتحانات وتنقص من حظوظ نجاحهم .

وبناء على ذلك فانه يجدر بنا انشاء حركة فكرية حول هذا الموضوع والسعي الى تدريب رجال التعليم على تحليل طريقة اسناد الاعداد ونقدها نقدا علميا .

ولنختم الملاحظات التى أبديناها طوال هذه الدراسة حول موضوع الامتحانات باثبات التوصيات الواردة فى كتاب الاستاذ بيارون السابق الذكر والتى تلخص فيها ما يلي :

سعيا وراء التنقيص من أهمية الدور الذى تلعبه الصدف فى الامتحانات التقليدية ينبغى اتخاذ الاجراءات الضرورية الآتية :

1) تهيئة الممتحنين للقيام بمهمتهم على اكمل وجه ممكن وتلقيهم بعض المبادى فى فن الاحصاء .

2) استعمال اختبارات خاصة بالنسبة للامتحانات والمناظرات الخاصة بالتعليم اسناد الاعداد .

3) تعميم ازدواج التصحيح بالنسبة للاختبارات الكتابية التى تشتمل على معطيات مضبوطة على ان لا يسند العدد النهائى الا بعد المناقشة .

4) استعمال اختبارات محدودة للتعرف على مدى المعلومات التى تحصل عليها المترشحون وعلى مستوى مؤهلاتهم المكتسبة .

5) التفريق بين مراقبة التشكيلات التربوية والتكهن بالاستعدادات الفردية .

ومن ناحية أخرى ينبغى ضبط دور الامتحانات والمناظرات والاهمية التى تكتسيها وذلك باتخاذ الاجراءات الآتية :

1) ضبط المستوى المطلوب فى الامتحانات بالاعتماد على نسبة مائوية معينة لقبول المترشحين وتحاشى نسبة الخمسين بالمائة المتعارفة .

2) استعمال اختبارات خاصة بالنسبة للامتحانات والمناظرات الخاصة بالتعليم العالى وذلك للتعرف على مواهب المترشحين ومؤهلاتهم فى هذا الميدان .

وسعيا وراء ضبط سياسة تربوية محكمة ينبغى احلال طريقة التوجيه المستمر محل طريقة الاختيار بالاعتماد على نتائج الامتحانات على ان يقام هذا التوجيه على طريقة التعرف على شخصية كل مترشح من المترشحين وذلك بالاستعانة بالوسائل العلمية الموضوعية .

ونظرا لاتساع ميدان المعارف الانسانية فى العصر الذى نعيش فيه ينبغى :

1) العدول عن طريقة حشو الادمغة بالمعلومات التى تكتسى صبغة موسوعية واجتناب تراكم المعلومات التى لا طائل تحتها وتعويضها بحد أدنى من المعلومات الاساسية الثابتة .

2) تمكين الشبان فى جميع الميادين من تربية مستمرة وحثهم على مواصلة نشاطهم الذهنى .

3) تدريب التلامذة خلال فترة الدراسة على استعمال كافة الادوات الثقافية التى تضعها الحضارة الانسانية تحت تصرف البشر مع الاهتمام بايقاظ غريزة حب الاطلاع وروح الاهتمام دون القضاء على الدور الذى تقوم به الذاكرة نتيجة لحشو الادمغة بمعلومات متغيرة قصد المشاركة فى امتحانات فاسدة يخشى ان ينجر عنها كراهية الانسان للثقافة .

عزوز عبد النبي

تهويمات في مدن الخوف والرحيل

شعر : كمال قداوين

غَشِيَ المَسَاءَاتِ العَذَابْ
لَما اسْتحَالَ العُمرُ يَعثُرُ بَيْنَ أشْداقِ القُرُونْ !...
وَيُلَملِمُ الأحزَانَ مَنهُوكاً بِأحمَالِ السِّنِينْ ..
مُتوَغِّلاً ، تَمضِي مُضرَّجَةً رُؤَاهُ الغَافِيَاتْ ،
بِدمَا الفَوَاجِعِ وَالمَنُونْ !....
فَيَطُوفُ مَذْعُوراً بِأرْوقَةِ التجاوِيفِ الخَرَابْ ،
وَيَظَلّ يَخبطُ فِي متَاهَاتِ الضّيَاعْ ..
وَيُسَائِلُ الأصدَاءَ فِي زَمَنِ المواَجعِ
عَنْ عبيرِ العِشقِ ، عَنْ طَعمِ الصرَاعْ !....

* * *

غَشِيَ المَسَاءَاتِ العَذَابْ
وَتَرَسبتْ فِي عُمقِهَا المَحزُونِ أوْحَالُ التُّرَابْ ..
وَأنَا تَعِبتُ مِنَ الرَّحِيل
يَا كُلّ أحْبَابِي الحيَارَى الظامِئِينْ
طَوّفْتُ فِي مُدُنِ التفَاهةِ ألْفَ عَامْ
وَرَجَعتُ مَنْهُوكَ الأعِنَّةِ وَالجِيَادْ

وَقَضَيْتُ مَنْفِيًا بِلا عُنْوَانْ !.....
أنَا مِنْ زَمَانِ يَارِفَاقَ الحِلِّ وَالتَّرْحَالِ
أَرْحَلُ فِي شَتَى النَّزَوَاتِ مُنْطلِقا
عَلى مَتْنِ السنِينْ ...
يَمْتَصُّنِي هَذَا المَكَانْ
وَيَرُوعُنِي غُولُ الزَّمَانْ !...

* * *

إنِّي هنا يَاكُلَّ أسْفَارِي الجَدِيدَهْ .
ألْقيتُ أثقَالَ المَتاعِبِ والقُيُودْ ..
مَا زِلتُ أحْضِنُ جُرْحِيَ المِدَاحَ فِي بَحْرِ الجَلِيدْ !
سَأَظَلَّ « خَارِجَةَ » الذي اغتَالُوهُ عفْوًا
« وَسَمَوْأَلَ » العهدِ البعيدْ !.
فِي عَصرِ ذَاكِرَةٍ يُمَازِجُهَا العَيَاءُ ..
أنَا يَا رِفَاقُ تَعطَّشَتْ مُدُنِي الجديدة للخُصُوبَةِ وَالنَّمَاءْ ..
وَتَرَسَّبَ الحُزْنُ الحَبِيسُ بِدَاخِلِي
وَتَحلَّقَتْ مِنْ حَوْلِ محْرَابِي
خَفَافِيشُ النَّذَالَةِ وَالرِّيَاءْ ...
فِي كُلِّ دَرْبٍ تَقْتَفِي أثَرِي
صعَالِيكُ الخِيَانَةِ وَالدَّهَاءْ ...
أنَا خَائِفٌ يَا كُلَّ أحْبَابِي
وَفِي مُدُنِي الجريحة يَقتُلُ الصُّبْحُ المَسَاءْ
وَيَكذِبُ الليْلُ الضِّيَاءْ !....

* * *

أبدًا سيلعنُنا الزمانْ !
أبدًا سينكرُنا المكانْ !
سنظلّ يقتلُنا العذابْ
سنظلّ في عصر الحضارة جائعينْ
مادامَ في عصر القذارة مُتخَمونْ
وتسومُنا الأيامُ خسفا والسنون ..
ونظلّ ننظرُ خاسئينْ !
ونظلّ ننظرُ واقفينْ !...
في مهمه التشريد والأحزان نبقى ضائعينْ ...
مَنْ نحنُ في هذي الربوعْ ...
سُجُفٌ تظلّ بلا شموعْ ...
ومُقاتلونَ بلا دروعْ ... ؟
ومسافرونَ بلا رجوعْ !...
أنا ساخطٌ يا كلّ أحبابي
على كلّ « العروشاتِ » الغبيّهْ !
وعلى المقاصير التي في جوفها
يتضاجعُ الغلمانُ والخصيانُ والحورُ البغايا ،
ينهلونَ منَ الخطايا ! ...
أنا قائمٌ بالليل وحدي ساهرٌ ... أرعَى « الحصونات » السَّبيهْ !..
والعسكرُ التتريُّ خلفَ السور
قدْ شجّ الكرامات الأبيّهْ !
وبكلّ باب قيصرٌ
الكلّ يلهجُ باسْمه
ويُعانقُ الذلّ المكينْ ...

وَالكُلُّ يَقبَعُ فِي السَّرَادِيبِ النَّدِيَّهْ !...
مُسْتجدِيا عَطفَ الخَليفَةِ وَالوَزِيرْ
وَالكُلُّ يُوجعُ ظَهْرَهُ سَوْطُ الأَميرْ ..
وَمُقَبِّلٌ سَوْطَ الأَميرْ !!....
وَعَلَى المَدَى ..؟
لا نَسْغَ يَرْنُو للوِلادَةِ وَالنَّمَاءْ .
لا طَيْرَ يَهزِجُ بِالغِنَاءْ ..
لا صُبْحَ يَفْرَحُ بِالمَسَاءِ ،
وَلا شُرُوقَ وَلا غُرُوبَ
وَلا سُؤَالَ وَلا مُجِيبْ !...

* * *

نَامَتْ عَلى الشَّوْكِ السُّنونْ
وَتَهَرَّأَتْ قَدَمُ القُرُونْ
وَتَصَدَّعَتْ جُدُرَانُهَا النَّخِرَاتُ وَانفَطَرَ الحَنِينْ ..
وَتَبَعْثَرَتْ فِي اليَمِّ أَشرِعَةُ السفِينْ ...
وَتَفَجَّرَ الحِقْدُ الدَّفِينْ !.....
يَا لَيْتَ يَا أَملِي الحَزِينْ ...
تَأتِي البَشَائِرُ تَهزِجُ الأَلحَانَ للقَلبِ الكَسِيحْ .
لِتُضَمِّدَ المَاضِي وَتُخْمِدَ لَوْعَةَ العُمُرِ الجريحْ
وَلِيَدْفِنَ الأَتعَابَ فِي حِضنِ الطَّهَارَةِ وَالحَنِينْ ...
يَا لَيْتَ يَا أَملِي الحَزِينْ !
يَقضِي الزَّمَانُ مَآرِبِي
فَتعُودُ تَنزِلُ شَاطِئَ الأَحْلامِ كُلُّ قَوَارِبِي ...
وَتَعُودُ تَهدلُ بِالغِنَاءِ حَمَائِمِي ... وَمَوَاكِبِي ...

وَيَعود يَنْمُو هَازِجا
بِذْرُ المسرّة فِي العُيُونْ ...
يَا لَيتَ يَا أَمَلِي الحَزِينْ ...
يَتدَحرَجُ الأفقُ المُعتَّمُ بِالمَواجعِ وَالأنينْ ..
وَمَوَاسِمُ الأحزَانِ تَحت سَنابِك الغسَقِ البَهِيمْ ..
لِندُك ذَاك المَاردَ الجبَّارِ فِي أَرضِ الخِيانَة وَالمُجَونْ ،
وَنَعُودَ نَرتَقِبُ الغَدَ الآتِي المُضمَّخَ بِالعذُوبَةِ والطيُوبْ ..
وَنَعُود نَفرَحُ بِالشروقِ وَبِالغرُوبْ ،
وَنَقُولُ : سُحقًا للذِي وَأدَ التَنَاسُلَ فِي حَضارَاتِ القُرُونْ !..

كمال قداوين

* * *

ننشر فى الأعداد القادمة

وطنى وفارس الفجر (ابداع)	**التهامى الهانى**
النادرة بالحجاز فى العصر الاموى ــ 4 ــ ..	**البشير المجدوب**
امراة مزروعة بالالغام (شعر)	**الصادق شرف**
المشاكل التعبيرية فى الشعر العربى	**محمد الغزالى**
تونس يا أعمق من مرايا	**منصور قيسومه**
قلعة السقيف (قصة)	**جواد صيداوى**
الدقله فى عراجينها أو مقدار الرؤية ..	**عبد المجيد النفزى**
الفارابى : فلسفة وأخلاق وسياسة	**محمد أنور بوسنينه**

المدّ والجزر...

قصة : علي سايي

(*) - 2 -

وترفع اليها عينيك المشتعلتين وتنظر اليها بحنق ، باشمئزاز وهي مستلقية على الديوان غارقة ، سابحة ، هائمة بعينيها الجميلتين في فضاء الحجرة ، والليل ساج .

« وانت . ماذا تريدين مني ؟ ماذا ؟ لا تتكلمي . لا أريد أن أسمع صوتك . قلت لك الف مرة . ابتعدي عني . بعيدا بعيدا حيث يسكن الشيطان . لان الاذاعة تحطمت . حطمها الارهابيون الخضر . هذا هو الراجع . ولن أستطيع بعد اليوم أن أستمع الى النشرة الجوية . وأنا لا يهمني الآن ان أعرف أحوال الجو ما دامت السماء صافية . وتسألين عما يسجله الشرطي في دفتره . على أوراقه . لست أدري . الآلة الكاتبة تطقطق أمامه وأصابعه تتحرك . بهدوء حينا وبعصبية أحيانا . أعطيته بطاقة تعريفي كما أعرفها . اسمي واسم والدي واسم والدي الذي باع بقرتنا في الاسبوع الفارط . واسم والدتي التي عذبتها البقرة التي باعها والدي في الاسبوع الفارط . واسم جدي وكنية جدتي التي نسيت اسمها ، أعطيته اسم جدي الاول الذي توفي رحمه الله . وجدتي الاولى التي ماتت رحمها الله في عام الطوفان وقد كانت الطائرات العملاقة تمطر الحقول والجبال والقرى والمدن . والقنابل المتهاطلة تترك في الارض حفرا عميقة يملؤها الماء . والناس في المدن وفي القرى يخشون هذا السيل النازل من السماء فيختبئون في المغارات والخنادق .. كما أعطيته اسم عمتي التي ماتت ودفنت وأنا لا أعلم . لانها كانت فقيرة ، معدمة ، جائعة .. قلت لك مليون مرة ابقي بعيدة عني حتى لا أقتلك لكنك عدت فقولي .. كما قلت له كل شيء . نعم بكامل الصدق والصراحة أعطيته اسمي المسجل في دفاتر الحالة المدنية ومكان ولادتي وتاريخ ولادتي الذي نسيته لكنه كان والحمد لله مسجلا في دفاتر الحالة المدنية . لان

(*) تابع لما نشر في « الفكر » ع : 9 ـ س : 27 ـ جوان 1982 .

العرب لم يكونوا واثقين من أنفسهم • لانهم يكرهون اليهود • لانهم يخافـون السلاح سلموه لليهود فى سيناء • لانهم يحلمون بالنصر وبالصلاة فى القدس وأنا أحلم بك يا جميلة خسرنا الحرب.وكانت خيبة الامل فقالوا: نكسة وقالوا: جولة لانهم يسهرون مع القمر فى السماء . ويحبون الخمر والتكروري والنساء سلموا سلاحهم لليهود وهم يكرهون اليهود وأنا أكره اللحم الا اذا كان حيـا ينزف دما •• هربوا وتركوا أحذيتهم فى رمال الصحراء • لانهم لـم يتعودوا المشى فى الرمال بأحذيتهم • وهرب الشرطى فركضت وجريت وراءه لانـه لم يأخذ بعد كل التفاصيل • ورجوته وأنا أصرخ • لم أتكلم بعد عن كل شىء • مازالت هناك تفاصيل كثيرة • أنتظر • مهنتى لم تسجلها ومكـان عملي لـم تسجله يا .. تعال . لكنى لاحظت انـه يجرى وراء امـرأة . شعرهـا قصير وثوبها قصير • شبران فوق الركبة • وسقطت منه قارورة خمر وهو يجرى وأنا أصرخ وراءه . ما زالت هناك كثير من التفاصيل يا .. سيدى .. أرجوك. أرحنى • فأنا سكير • وهى سكيرة من الطراز الاول • ورأيتك وأنت تجرين • سقط جناحاك • منظرك أصبح قبيحا قبيحا وأنت بلا أجنحة • والناس يصرخون من حولى وأنا لا أرى غيرك ، لا أرى سواك • يجرى الحصان وقد امسك قارورة خمر بيده اليمنى • اليسرى • وأمسك بعصاه والمرأة القصيرة ، ذات الشعر القصير ذات اللباس القصير • شبران • تجرى ••

ونزل الستار عن آخر فصل فى المسرحية وجن الناس فى القاعة • يبكون والممثلون هربوا ، خرجوا من باب خلفى وراء الستار • والناس فى هياج شديد يصفقون ويصفقون ويضحكون ويبكون • مزقوا الستار فلم يجدوا أحـدا من الممثلين وخرجوا من باب خلفى وراء الستار •

وبقيت وحدى فوق الركح ولم أمثل دورى والناس هاربون • مـن البـاب الخلفى •• ألا تريدون أيها السادة أن تسمعونى • أعطـونى فرصـة واحـدة واسمعونى •• وصوتى بح وحبال حنجرتى تمزقت •• وأنا وحدى على الركح أستعطف • لم أمثل دورى • والناس خرجوا من الباب الخلفى وراء الستار ••

أجهدت نفسك كثيرا . لم تعـد تقوى على الكلام . احمر وجهـك واصفـر واخضر .. سقطت يداك وزاغت عيناك . هدك الاعياء هدا ، وكدت تسقط لـو لا أن تناولتك بين ذراعيها فى حنو ملحوظ ، وأخذتك الى الفراش وكانك مغمى عليك • وضعتك هناك وخلعت حذاءك وملابسك واندست بجانبك تحت الازار ونظرت اليك طويلا وأنت مغمض العينين وصدرك يعلـو ويهبط • وضعـت شفتيها على شفتيك برفق • ثم أغمضت عينيها •

وأفقت صباحا فوجدتها فى المطبخ تعد لك إفطارك .

ـ صباح الخير ٠

ـ صباح الخير ٠

ـ هل نمت جيدا ٠

ـ انى أشعر بارهاق شديد ٠

ـ انك فى حاجة أكيدة الى الراحة ٠

وساد الحجرة صمت ثقيل ٠ ثم ٠٠

ـ انى ذاهبـة ٠

ـ فلتذهـبى ٠

ـ هذا كل ما لديك أن تقوله ؟

ـ وماذا تريدين منى أن أقول أو أن أفعل ؟

ـ كنت أنتظر منك كلمة وداع رقيقة ٠ كنت أنتظر أن ٠٠ أن تمنعنى من الانصراف ٠ أن تحنو ٠

أن تعطف ٠ أن ٠٠

ـ قلت : إنك ذاهبة فقلت : اذهبى ٠

ـ قد تندم يوما على ما فعلته فى ٠ قد تشعر بالخجل من نفسك ٠

ـ ان هذا لا يهم ٠

ـ رغم كل ذلك فانا أحبك ٠ ولا يمكن أن أنساك ٠ أبدا ، لا يمكن أبدا ٠ لا يمكن ٠ لا يمكن ٠٠

وأجهشت بالبكاء ثم أخذت منديلا تمسح به دموعها . وأنت تغسل وجهك. وأنت تنشفـه ٠

وذهبت ترتدى ملابسك ٠ وضعت طبق الافطار أمامك ، فجلست تحتسى القهوة . وأشعلت سجارة ، ولم تأكل .. ونظرت اليها . إنهـا ما تـزال تبكى وتمسح دموعها ٠٠

ـ كفى عن البكاء ٠ أرجوك ٠ تعالى ٠ اجلسى هنا بجانبى ٠

ـ انى ذاهبـة ٠

ـ قلت لك اجلسى ٠ هكذا ٠ استمعى الى ٠

ـ ها أنا مصغية ٠

ـ قالوا انتهت الحرب فى فيتنام ٠ وضعت أوزارها وانتهت بكل بساطة ٠ لكنهم نسوا أن الذى قامت من أجله هـذه الحرب موجود فى ألـف مكان مـن عالمنـا .

ـ لست أفهمك . أناديتنى لكى تحدثنى عن حرب فيتنام ؟

ـ لا تقاطعينى ٠ قلت لى يوما « حدثنى عـن نفسـك ٠ عمـا تحس لعلنى أستطيع بعد ذلك أن أفهمك وان أقترب منك » .

ـ لكن ما دخل الحرب فى فيتنام وفى غير فيتنام ؟ ما دخلها فى الحديث عن نفسك وعن احساساتك ومشاعرك ؟

ـ استمعى الى ولا تقاطعينى ٠

ـ ها أنا مصغيـة ٠

ـ نسوا أيضا اننى لا يمكن أن أرضى بالاستسـلام ٠ واننى أرفض حالـة اللاحرب ٠ نسوا اننى خلقت جنديا ٠٠ أنا جندى منذ الصرخـة الاولى الـتى أعلنت بها دخولى عالم الاحياء ٠ لذلك ترونني دائما فى زى الميدان ٠ فى البدلة الحربية ٠ لاننى أحارب الامبريالية فى الشرق وفى الغـرب ٠ لاننى أحـارب الامبريالية فى بيتى الذى ولدت فيه ٠ فى بيتى الـذى أعيش فيـه الآن ٠ فى الشارع الذى أمشى فيه ، فى المقهى الذى أقضى فيه ساعات من يومى ، وفى الحانة التى أسكر فيها ساعات من ليـلى ٠ أحاربهـا فى أسلـوب عمـلى وفى المؤسسة التى أعمل بها ٠ الامبريالية والامبرياليون فى كل مكان يـا سيدتى وأنا جندى ٠ قد أكون فاشلا وقد أنجح يوما فى أداء مهمتى ٠ لذلك ، سيدتى ، أنا لا أستطيع أن أنعم بالدفء وبالهدوء اللذين تنعمين بهما . لا أستطيـع أن أشاركك فراش الحرير الذى تدعيننى اليه . كما انى لا أستطيع التمتع بمنظر جسدك الجميل وأنت تخلعين ثيابك وتلقين بها قطعة .. قطعة على أرض بيتك. ذاك البيت الانيق الفخم ، المريح . لا أستطيع سيدتى لان الامبريالية فى كل مكان . تطاردنى كما أطاردها . تحجر على خلع ملابسى العسكرية . تحجر على لمس أى شيء جميل ناعم مثل جسدك ..

ـ لكنك نلت جسدى ٠ وبصماتك ما تزال على كل مكان فيه ٠

ـ انك لا تفهميننى ٠ وتلك مصيبتك ومصيبتى ٠

ـ انى أحاول فهم ما تقول لكن ..

ـ حاولى أكثر . أرجوك ولا تقاطعينى .

ومكثت شاردة الذهن تفكر . عجيب أمرك .. كيف أصبحت !؟

غريب عنها انت . لا تعرفك . وهذه الافكار وهذا الكلام المهزوز لم تعهدهما لديك . ما الذى طرأ عليك وما الذى حدث . كانت فيما مضى تسمع منك أحيانا كلمة غريبة أو فكرة غير معهودة لا تستسيغها . لكن الامر كان ياتى عرضا ويقف عند حد الكلمة او الفكرة . أما هذا السيل من النشاز والاغراب فلم تعرفه منك قط .

ونظرت اليها وكانك لا تراها ولا تحس بها ثم واصلت .

« عندما أصابنى الجوع فى ذلك اليوم المشؤوم ، كاد يقتلنى ، كاد يقضى على وعلى اخوتى ووالدى الشيخ المريض ، خرجت الى الشارع الطويل لاول مرة ومددت يدي لاول مرة أستعطف الناس فى ذلك اليوم المشؤوم .. نهرنى صاحب البدلة الرمادية والعصا البيضاء . مخط فى كفى الممدودة رجل لا أعرفه . وبصق فيها صاحب غليون وبدلة سوداء. وكاد آخر ، مجهول لدى ، أن يدهسنى بسيارته لولا أن ابتعدت عنها بأعجوبة . رضيت سيدتى فى ذلك اليوم المشؤوم بالبصاق فى وجهى . بالمخاط فى كفى . بالسب ، بالشتم . لكننى لم أرض بالموت تحت عجلات سيارة من أجل كسرة خبز سوداء .. وانت سيدتى الجميلة تتعرين أمامى وتلقين بملابسك قطعة قطعة على أرض بيتك الانيق ، الفخم المريح، وأنا غريب. جندى فى زى الميدان أبدا . غريب . غربة معنوية أدبية . غربة ثقافية لغوية سياسية ايديلوجية . فضائية ، ترابية ، بحرية .

غريب سيدتى لانك لا تفهميننى . والناس من حولك لا يفهموننى .

لا . لانى أخاطبكم بلغة غير التى تعرفون . ولكن .. لانى أعيش فى عالم غير الذى فيه تعيشون . رافض نفسى ومرفوض لانى أرفض أن أغمر حبيبتى بالتراب ـ مثلما تفعلون ـ لاركع ، لا سجد عند أقدام ذاك وتلك وأولئك .. لانى لا أصلى صلاتكم . وأرفض عجزكم وبلادتكم وقوادتكم .. لانى أرفض أن أقول ـ مثلما تفعلون ـ لهذا صدقت ، سيدى ، عندما يكون منافقا كذابا ولذاك احسنت ، سيدى عندما يكون لصا ومخطئا ومسيئا .. لانى أؤمن بانى خلقت جنديا . منذ ولادتى فى زى الميدان . على اهبة واستعداد .. دائما .. لانى كذلك ، لا تفهميننى ، سيدتى ، ولا يفهمنى الناس من حولك » .

وسكت · وهى تنظر اليك فى استغراب ، صامتة ، حائرة ، شـاردة ·· واشعلت سجارتك الخامسة . وترشفت قهوتك الباردة .

ـ ما هذا حبيبى ؟ ما الذى حدث لك ؟ لم أسمع منك قط كلاما مثل الذى سمعته اليوم والبارحة ·

ـ لانى لم أجد قبل اليوم فرصة أخرج فيها ما بداخلى ·

ـ واليوم وجدت الفرصة وبحضورى أنا بالذات ؟!

ـ هو ذاك · لانك ··

ـ لانى ضعيفة · لانى بلا رأى وبلا عقل بالنسبة اليك · لانى لا أخيفك ولا أستطيع أن أناقشك أو أحاسبك على أفكارك ؟

ـ هو ذاك · ها أنك بدأت تفهمين · ألا تحسين بالضعف أحيانـا فـلا تجهرين بما تخفين ، ولا تصرحين بما يعتمل فى صدرك لأى كان ؟

ـ ولا تصرح بذلك الا وأنت فى مكان تعتبره آمنا · أمام شخص لاحول له ولا قوة · أمام شخص يسمع ما تقول دون تفكير طويل · دون أن يجادلـك أو يعارضك ·

ـ هو ذاك · هو ذاك ·

ـ ما كل هذا الخوف ؟ لم أكن أعرف أنك جبان الى هذا الحد ·

ـ هو ذاك · هو ذاك ·

ـ والآن ؟

ـ ماذا تريديـن ؟

ـ انى خارجـة ·

ـ هو ذاك · اخرجى · اذهبى · ابتعدى · وانى سأهجركم جميعا · سأهرب من وجوهكم ·

ـ اهى النهاية التى لابد منها ؟

ـ هو ذاك · هى النهاية التى لابد منها · وهى البداية التى مـن أجلها سـأعيش ·

ـ انك أصبحت أكثر تعقيدا · أصبحت لغزا لا أفهمه ·

ـ هو ذاك · هو ذاك ·

ـ أأقــول الوداع ؟
ـ هو ذاك ٠ الوادع ٠
ـ دون أن أقبلك ؟ دون أن تضمنى الى صدرك ؟
ـ ....

ولم ترد ٠ بقيت ساعة مطرقا ٠ وبقيت ساعة تنظر اليك فى حيرة ٠٠ ثم اقتربت منك ٠ هزت رأسك ٠ عانقتك ٠ قبلتك ٠ وانت ثلج ، صخر ٠

و ٠٠٠ خرجت وهى تمسح دموعها ٠ وأنت مطـرق ٠ وصفقـت البـاب الخارجى وراءها ٠٠

وانتهى كل شيء .
وقمت تذرع الحجرة ٠ نظرتك حائرة وخطواتك مضطربة ٠
لم لا أواجه نفسى ؟ لماذا أحاول الهروب من حقيقتى ؟

ماذا فعلت حتى أكون هنا ؟ وماذا يجب على أن أفعــل للتخلص مــن هذا الكابوس ٠ لأخرج من هذا الظلام الدامس الى النور ٠ نور الحقيقة والطمأنينة؟

هذه الاصفاد تكبلنى وهذه الاشواك تحيط بى ٠ متى أحطم القيود وابدد الاشواك ؟

لماذا أحتقر نفسى وأغوص فى متاهات حالكة لا مخرج لى منها ؟
الى متى أظل خائفا من نفسى ومن مواجهتها ؟
ومستقبلى أخافه ؟ الست أنا الذى يصنع هذا المستقبل ؟

لم لا أفرض ذاتى على الناس ، على الوجود ، وأكون ما أريد لا ما تريده لى الظروف والمحيطات المختلفة ؟

لم لا أرفض واقعى وأصنع لى واقعا جديدا تتنفس فيه مواهبى بحريــة ، واقعا يرضى طموحى !؟

انى مللت حياتى الرتيبة هذه ٠
انى مللت واقعى بحلوه ومره .

انى هنا منفى ٠ ومنفى فى كل مكان أكون فيه ٠ لانى لست الأنــا الــذى أريده وأصبو اليه ٠

أغمضت عينى حتى اليوم ٠ راضيا ، قانعا ٠ تعاميت عــن نفسى قاتــلا مواهبى مكبلا طموحى ٠

رضيت حتى اليوم بالعيش فى سجنى الذى أحكمت وضع قضبانه بيدى.. يدى هاتين الداميتين ٠ وحاولت اقناع نفسى بما لم أكن قط مقتنعا به ٠

حاولت الهروب من واقعي بكل ما فيه · واستطعت الهروب ··

ركضت وراء الجسد · ونلت أجساما كثيرة · متفاوتة القيمة ، مختلفة الشكل واللون · فيها الجميل وفيها القبيح ·

ركضت وراء الجسد فاحترقت وما اشبعت شهوتي . وما نلت كفايتي .

شهواتي تزداد يوما بعد يوم · وأنا أغوص في الوحل ·

وأنا أضعف وأفقد في كل مرة شيئا من نفسي · وأقبر في كل مرة بعضا من طموحي . وأفقد في كل مرة بعضا من مواهبي .

ولا أنال في النهاية شيئا. ويزداد عطشي ويلتهب جسدي ويتبخر مخي وتخور قواي ·· وأظل أدور في دوامة لا تتوقف تظل تدور تدور بلا ملل · لا تتوقف

لم فعلت في نفسي كل هذا ؟

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

وعظمت مصائبي · وكثرت ظنوني وهواجسي ·· ونظرت واقعي فاذا هو أسوأ مما كان · ولم أستطع أن أواجهه فلقد أصبحت ضعيف الارادة · أضعف مما كنت ·

وفررت من حياتي الرتيبة ·

وفررت من واقعي مرة أخرى لاني ضعيف ، صفر ، لا شيء ·

وارتميت في أحضان الخمر ·

وحاولت أن أنسى نفسي وواقعي مثلما يفعل كل الضعفاء · وأصبحت أسكر وأترنح ·· وأتكلم كثيرا وأنا سكران · وأواجه نفسي لحظتها فأكون من المنتصرين · ويسمعني الناس ويطيعونني · ينفذون كل طلباتي ويرضون نزواتي · كل طلباتي ونزواتي لاني سكران ، لاني أترنح بمفعول الكحول ·

كلاب ، جبناء ، يهربون مني في صحوتي · لا يسمعونني · لا ينفذون لي طلبا ، ولا يرضون لي نزوة ·

لم لا أجعلهم يصغون الي وأنا صاح ومالك لكامل قواي العقلية والجسدية؟

لم لا أجعلهم يحترمونني وينتظرون رؤيتي وحديثي ؟

الى متى أبقى ضعيفا لا أواجه الناس ولا أواجه نفسي الا وأنا في حالة سكر وعربدة ؟

متى أكون قويا وأرفض نفسي هذه وواقعي هذا ؟

متى أغير اتجاه سفينتي فيكون لي الوجه الذي أريد ؟

متى أرفض الهروب وأقف على قدمي وأقبل المواجهة ؟؟؟

علي ساسي

مذكرة عربي يهرب من تاريخه

شعر : محمد الغزالي

عربي أنت بلا مأوى
تتأرجح دوما فى الذكرى ،
تستجدي الناس
وهم فى الوحل يغوصون
بلا جدوى ،
عربي أنت تتيه
فلا الاقدار تناجيك
ولا النجوى .
وطني أنت بلا وطن
منفي الحب مع الزمن
تتحدى الموت بلا شجن ،
وتعيش الفرحة فى المنفى .
فلماذا يسعد فى الدنيا الغير ...
ونحن بلا وطن نشقى
نرنو نحو الآتي ، ؟؟
نتسامر فى مقهى عفن
نهرب من سيف التاريخ المصلت
فى أعيننا السكرى ،
وطني لا تحزن فأنا
لا يقهرني حتى الموت ،
ولا التعذيب ولا الترويع
ولا الصمت ،
سأظل ببابك أرقب خيط الشمس
يحدوني صوت
فالام سكون الليل بقلبي
يورق أحلاما
تهرب من وضح النور وتنبت .
إني أرقب ضوءا سحريا
فى الافق بعيدا ينداح بشوق
يضرم فى الاحشاء حريقا
يغريني باليم الغاضب
بالانهار المتعبة المهزومة ،
فأنا لن أبرح هذا البرج
لأني أعرف
أني من أجل الامل المطلول هنا
فاضت عيناي وصليت .

محمد الغزالي ـ باريس

أشـواق ...

شعر : محمد البقلاوطي

سكبت الدمع أنهارا روبت الشوق من يمي
فما زال الهوى يسري بوجداني وفي حلمي
ولو أنساك يا أرضي فقد أنسى انا .. ما اسمي ؟

* * *

أنا أنسى حكاياتي وأحزاني وأناتي
وأنسى ما حوى فكري وأمضي في المتاهات
ولن أنساك يا أمي على رغم المسافات

* * *

انا في مهجتي شوق لبعض من تقاليدي
فأبكيها بلا حد وتبكيني أناشيدي
ومشتاق إلى قومي أنادي مقلتي زيدي

* * *

أنا نصفي يناديني فهل أدركت من أعني
أنا أخشى على بدر يفوق الحسن في الحسن
وقد عاهدت أحلامي فلن أبقى على حزني

سفينة الحكمة

نظم : عبد الله الزناد

الصبر على الشدائد

ان الشدائد فى الدنيا لها خطر فاصبر عليها ولا تجنح لكفران
فالله يجزى الصابرين بصبرهم : كشف الهموم وجنة الرضوان

حب المال

الا انما الاموال جمعها زائل وما المجد الا فى اكتساب الفضائل
فجد ـ يا أخى ـ فى المكرمات ولا تكن خزانة جمع للحلى المخاتل

الوعد دين

أنجز الوعد ان أردت نجاحا واكسب المجد والثناء الجميلا
إنما الوعد ـ ان وعدت ـ لدين وقضاء الديون يرضى الجليلا

النميمة

من نم فى الناس يوما كان محتقر وباء بالذنب والخسران والندم
فلا تكن فى الورى تسعى لتفرقه بما تلفق بالفحشاء من كلم

الحر

الحر حر وان مسته ضراء كالتبر فى الترب لا تعلوه أصداء
والحر لا يرتمى فى الموبقات ولو تجرع المر وانتابته أرزاء

الظلم

اياك والظلم ان الظلم مرتعه وخيم فحاذر أن تكون ظلوما
فلا حجاب اذا ما دعوة رفعت وكان مصدرها من بات مظلوما

مطالعات

مقدمة لدراسة كتاب

« الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب »

تأليف عبد القادر بن عبد الرحمان السلوي

بقلم : عبد الله الباهي
(المغرب)

يهيء أحد طلاب جامعة محمد الخامس بحثا ، من أجل نيل دبلوم الدراسات العليا ، حول كتاب (الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوى المناقب) ، لمؤلفه عبد القادر بن عبد الرحمان « المدعو السلوى ، الاندلسى الاصل ، الفاسى المنشأ التونسى الدار » . ونظرا لأن هذا المؤلف يكاد يكون مجهولا ، يرجو هذا الطالب بحرارة من كل السادة الباحثين والمهتمين ، وقراء مجلة (الفكر) الغراء ، وعائلة الحاج احمد بن غشام الطرابلسى - التى تنتسب الى المؤلف - أن يمدوه بكل المعلومات التى تتعلق بحياة المؤلف وكتبه وخاصة النسخة الاصلية المكتوبة بخط يده من (الكوكب الثاقب) وكذلك الآثار المنسوخة بخط يده ، أو ن يرشدوه الى مظانهاوالجهاتالتي يحتمل أن تكون فيها وهو مستعد لأن عوض لهم كل ما يمكن أن يتحملوه من تكاليف فى سبيل ذلك .

تشتمل هذه المقدمة على تعريف موجز (1) بالمؤلف ، ثم وصف لمحتويات الكتاب وطريقة المؤلف فى الترجمة للشعراء مع بعض الملاحظات العامة ، ثم بيان قيمة الكتاب والفائدة من تحقيقه ونشره ، وأخيرا وصف النسخ المخطوطة منه .

التعريف بالمؤلف

مؤلف هذا الكتاب هو عبد القادر بن عبد الرحمان السلوى من رجال القرن الثانى عشر للهجرة ، وهو أندلسى الاصل ، فاسى المنشأ ، تونسى الدار (2) ولا تعرف سنة وفاته ولكن من المرجح أن تكون فى أواخر القرن الثانى عشر ، لانه ألف كتابه (الكوكب الثاقب) فى سنة 1176 هـ (3) ، وهو آنذاك شيخ كبير السن (4) ، كما ذكر فى مقدمة كتابه . ومن المعروف أنه كان مازال حيا سنة 1180 هـ ، فقد جاء فى مقدمة كتابه (ادراك الامانى من كتاب الاغانى) (5) أن السلطان محمد بن عبد الله العلوى أمر له سنة 1180 هـ باحياء كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى وذلك « بتصحيحه » و « تحقيقه » . وقد سكن المؤلف فى القطر الشقيق تونس وتولى القضاء فى بنزرت وتزوج وأعقب ذرية هناك ، وما زال بعض أحفاده الى الآن ، وهم ينتسبون الى اسرة زوجته التى تدعى اسرة ابن غشام (6) .

ولا تعرف ترجمة مفصلة للمؤلف ، اذ لا نعلم شيئا عن حياته الدراسية فى المغرب ولا عن سبب تنقله الى تونس الشقيقة ولا عن أخباره وحياته فيها الا

---

(1) وذلك اضطرارا لانه لا تتوفر أو بالاحرى لا توجد مصادر ترجمت له .

(2) ورد ذلك فى مقدمة المخطوط ــ الخزانة الملكية ــ الرباط رقم 925 .

(3) ورد ذلك فى الصفحة الاخيرة (431) من المخطوط السابق الذكر .

(4) ورد ذلك فى مقدمة المخطوط وأكده الاستاذ الشاذلى محمد النيفر الذى أفدت كثيرا من بحثه المنشور فى الكتاب الذهبى لجامعة القرويين فى ذكراها المائة بعد الالف (245 ــ 1379 هـ) (859 ــ 1960 م) منشورات وزارة التربية الوطنية ــ المغرب ــ وفى جريدة (العمل) التونسية بتاريخ 26 يوليوز 1968 .

(5) مخطوط بالخزانة الملكية رقم 2706 الرباط وهو فى 25 مجلدا (ضاع المجلد 18) .

(6) بحث الاستاذ الشاذلى السابق الذكر .

النزر القليل المتفرق ، فقد ذكر الاستاذ الباحث محمد الشاذلى النيفر أنه درس بفاس على الامام المسناوى محمداحمد الدلائى الفاسى (1136 هـ) (7) . وقد عمل فى بلاط الباى التونسى على باشا بن محمد بن على من الاسرة الحسينية وقد نسخ له الاجزاء الثلاثة الاولى من كتاب (الوافى بالوفيات) للصفدى ، وكان الفراغ من نسخ الجزء الثانى سنة 1156 هـ (8) (!)

كما لخص له « الحاشية الكبرى على تفسير ابى السعود المسماة : مطالع السعود ، وفتح الودود ، على تفسير الامام ابى السعود ، تأليف الشيخ محمد بن عبد الله زيتونة التونسى (9) . ومن المعتقد ان صاحبنا ألف كتابه (الكوكب الثاقب) وهو بتونس (10) سنة 1176 هـ . ثم نجده بعد ذلك بقليل فى المغرب حيث أمره السلطان محمد بن عبد الله بتصنيف كتاب (ادراك الأمانى) سنة 1180 هـ (11) .

ويذكر العالم البحاثة الاستاذ الشاذلى محمد النيفر ان لكاتبنا مصنفا فى الاصول يقع فى 72 صفحة (12) . ولا ندرى متى ألف هذا الكتاب .

الكوكب الثاقب :

ولا شك ان أهم مؤلفات كاتبنا هو (الكوكب الثاقب) وهو يتألف من مقدمة وعشرة أبواب وهى كما يلى :

الباب الاول فى طبقات الشعراء وما جاء فى تعلم الشعر وتعليمه عن السادة الكبراء .

... الثانى فى ذكر نبذة من أشعارهم وما يحسن ايراده من أخبارهم .

... الثالث فى الحرب وتدبيرها وما ينبغى من الحزم والتيقظ لمن يباشرها

---

(7) المرجع السابق وكذا مجلة دعوة الحق ع 8 السنة 15 مارس 1973 ص 85 .

(8) بحث الاستاذ محمد المنونى (ملامح الحركة الادبية فى العصر العلوى الثانى) ـ مجلة دعوة الحق ع 8 السنة 15 مارس 1973 ص 85 .

(9) المرجع السابق .

(10) نفس المرجع السابق .

(11) المرجع السابق ص 86 .

(12) الكتاب الذهبى السابق الذكر ص 226 .

... الرابع فى الشجاعة والجبن وآلات القتال وما للشعراء فى ذلك من بديع المقال .

... الخامس فى الجود والسخاء والايثار ، وما يؤثر فى ذلك من عجيب الحكايات ..

... السادس فى الشح والبخل وما ينبغى من تجنبهما لاهل الفضل .

... السابع فى السفه والحلم وما قيل من ان أحق الناس به الولاة وأولو العلم .

... الثامن فى ذكر ملوك بنى أمية وابتداء دولتهم .

... التاسع فى ذكر الخلفاء من بنى العباس الى منتهى دولتهم .

... والعاشر فى نوادر من الأخبار حفظت عن أهل الجاهلية وغيرهم ونقلها الأئمة الاخيار .

وأهم أبواب الكتاب هو الباب الثانى الذى يحتل ثلثى صفحات الكتاب تقريبا (296 صفحة من أصل 431 هى مجموع صفحات الكتاب) . وقد ترجم المؤلف فى هذا الباب لتسعة وعشرين ومائة شاعر .

ويمكن تقسيم هؤلاء الشعراء المترجم لهم الى ثلاث طوائف :

1 ـ الشعراء الاسلاميون وعددهم ثمانية عشر شاعرا .

2 ـ شعراء دولة بنى العباس وعصر الانحطاط وعددهم ستة وتسعون شاعرا

3 ـ شعراء الاندلس والمغرب العربى وعددهم خمسة عشر شاعرا (تسعة من الاندلس والباقى من المغرب العربى) .

والملاحظ ان شعراء الدولة العباسية وعصر الانحطاط قد نالوا حصة الاسد من عناية المؤلف : اذ ان عددهم يصل تقريبا الى ثلاثة أضعاف الشعراء الإسلاميين والاندلسيين والمغاربة جميعا .

ويلاحظ أيضا ان شعراء الاندلس والمغرب لم يردوا فى الكتاب على حدة وانما جاءوا مختلطين بغيرهم من شعراء المشرق العربى . وقد وردوا جميعا فى أواخر الباب وهذا يدل على ان المؤلف اعتمد فى ترتيبه للشعراء المقياس

الزمنى منتقلا من الاقدم الى القديم وهكذا . ولم يهتم المؤلف بذكر الشعراء حسب أقاليمهم ، وذلك أمر طبيعى من مؤلف يضع كتابا عن الشعراء العرب بغض النظر عن الحدود والاقاليم .

واذا كانت أغلبية الشعراء الذين ترجم لهم من مشاهير الشعراء كالحطيئة والفرزدق وجرير وبشار وابى نواس وغيرهم ، فان كثيرا من الاسماء المترجم لها لم تشتهر بالشعر واذ كانت لها أشعار قليلة ، ومن هؤلاء الفقهاء والقضاة والعلماء والمغنون والامراء والولاة والخلفاء وغيرهم . وذلك تطبيقا لعنوان الكتاب : (الكوكب الثاقب فى أخبار الشعراء **وغيرهم من ذوى المناقب**) .

واذا ما نظرنا فى مقدار الشعر الذى يرويه للشعراء ، فاننا نلاحظ أنه يروى للبعض مقطوعات كثيرة بل قصائد طويلة تفوق أحيانا الثلاثين بيتا ، بينما يروى للبعض الآخر أبياتا متفرقة قد تكثر الى أن تفوق الاربعين بيتا وقد تقل حتى تصل الى البيتين والثلاثة .

طريقة المؤلف فى الترجمة للشعراء .

يبدأ المؤلف ترجمته للشاعر بذكر اسمه ونسبه وكنيته ولقبه الذى اشتهر به (13) ، ثم يذكر الاغراض الشعرية التى برز فيها كما يذكر آراء العلماء فى شعره ، وينتقى له بعض الاشعار التى يستحسنها . ويروى فى أثناء ذلك بعض الاخبار والحكايات والنوادر المستملحة التى لها صلة بالشاعر وشعره . ثم ينهى الترجمة فى بعض الاحيان بذكر سنة وفاته .

ويلاحظ أن الاشعار التى يرويها المؤلف للشاعر يختارها غالبا من الغرض الذى اشتهر به الشاعر ، فمثلا روى للحطيئة حوالى أربعين بيتا أغلبها فى الهجاء ، الا أنه يورد أيضا بعض الابيات التى استجيدت فى أغراض أخرى .

ويلاحظ من جهة أخرى أن المؤلف شغوف بايراد الاشعار الماجنة التى يتحرج كثير من المؤلفين من ذكرها فى كتبهم . وتختلف موضوعات هذه

---

(13) يكتفى المؤلف فى أحوال قليلة بذكر الاسم فقط ، دون أن يذكر نسب الشاعر وأخباره ، ثم يذكر بعض أشعاره ، مثل ما فعل فى ترجمة ابى نصر ابن نباتة السعدى .

الاشعار بين الهجاء الفاحش والغزل الاباحي والخمريات الماجنة وغير ذلك من الموضوعات (14).

واذا كان المؤلف يبدى استحسانه لبراعة الشاعر فى هـذه الاشعار فانه لا ينسى ـ وهو الفقيه القاضى ـ أن يظهر فى الوقت نفسه عدم موافقته لما ورد فيها من مساس بالأخلاق والدين. يقول مثلا عن يزيد بن معاوية: « كان يزيد شاعرا مجيدا الا أن أكثر شعره فى الخمر » . وبعد ان يروى له بعض الابيات فى الخمر يقول معلقا: « وله أشعار كثيرة من هذا المعنى تدل على خبثه وفسقه » . ويقول عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك: « وكان فاسقـا ضليعـا متهما فى دينه، مرميا بالزندقة ... وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره » . وبرغم هذه الاقوال التى تدل صراحة على استهجانه لمحتوى هذه الاشعار، فانه يكثر من ايراد هذا النوع من الاشعار حتى تفوق ما يرويه مـن الاشعار الحكمية او الدينية. واذا علمنا ان المؤلف كان فقيها وقاضيا علمنا ان طبعه الفنى الادبى كان أقوى مما تفرضه عادة مهنة القضاء على صاحبها مـن وقار وتزمت.

وهذا الميل الى هذا النوع من الاشعار يصاحبه ميل الى رواية النوادر الغريبة والحكايات العجيبة والماجنة فى كثير من الاحيان. ولا تكاد تخلو أية ترجمة من حكاية او عدة حكايات من هذا القبيل، وغالبا ما يبدأ هذه الحكايات بقوله: « ومن أعجب ما يحكى عنه ... » أو « ومن عجائبه .. » . ومن المرجح أن شغف المؤلف بهذه الحكايات يعود الى رغبته فى جعل مادته الادبية مشوقة ومحببـة للقلوب، اتباعا لطريقة الجاحظ فى الجمع بين الجد والهزل فى كتاباته. وقد أوضح المؤلف فى مقدمة كتابه هـذا الاهتمام بالحكايات والاخبـار الغريبة فقال: فذكرت فيه أغراض الشعر وفنونه وعزيزه وعيونه وأبكاره وعونـه؟ **ومن اخبار غريبة وحكايات عجيبة** معزوة لاربابها ومسندة الى أصحابها » (15).

وقد نتج عن شغف المؤلف بتلك الحكايات أنه كان يطيل فى الحديث عن الشعراء الذين يجد حياتهم خصبة بمثل تلك الحكايات والاخبار الغريبة، فى

---

(14) من أبرز الامثلة على ذلك ما قاله يزيد بـن معاوية عـند مقتل الحسيـن (ص 29) وما ورد فى ترجمة والبة بن الحباب (ص 88) وبشـار (ص 76) وحماد عجرد (ص 81).

(15) الكوكب الناقب ص 3.

حين يوجز تراجم الشعراء الذين لا يجد فى حياتهم ما يشبع نهمه الى الحكايات التى تستهويه . ومن هنا كان التفاوت كبيرا فى عدد الصفحات المخصصة لكل شاعر ، فبينما يترجم للبعض فى سطور قليلة (16) ، نجده يخصص لآخرين عددا من الصفحات تفوق أحيانا العشر (17) .

والمؤلف حريص على الامانة العلمية ، فقد ذكر فى مقدمة كتابه قائمة الكتب التى اعتمدها فى تأليف كتابه من أمثال الكامل للمبرد ، والاغانى للاصبهانى ، وبهجة المجالس وأنس المجالس لابى عمر يوسف النمرى الاندلسى ، وخاص الخاص لابى منصور الثعالبى ، وسراج الملوك لابى بكر الطرطوشى ، والوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى ، والرافى فى نظم القوافى لصالح بن شريف الرندى ، وكتاب ري الاوام ومرعى السوام فى نكت الخواص والعوام لابى يحيى عبيد الله الرجالى الاندلسى ، وكتاب الصيب والجهام ، وكتاب رقم الحلل فى نظم الدول وهما للسان الدين ابن الخطيب ، والمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لابى محمد عبد الله النباهي الاندلسي ، وجذوه الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس لأبى العباس القاضى الفاسى . وغير ذلك من كتب الادب العربى . كما حرص أثناء ترجمته للشعراء على اسناد الاقوال والاخبار والآراء لاصحابها . وكان يكتفى غالبا بذكر صاحب الرأى ، وفى بعض الاحيان كان يذكر المصدر دون صاحبه وفى أحيان أخرى كان يذكرهما معا .

وبالرغم من غلبة طابع الجمع على الكتاب فان للمؤلف كثيرا من الآراء الشخصية مبثوثة فى ثنايا الكتاب . والطابع الغالب على هذه الآراء انها موجزة مقتضبة ، وتتجلى فى اظهار اعجابه ببعض الابيات وترجيحه لرأى من الآراء أو خبر من الاخبار . وقد ترد هذه الآراء مبسوطة أحيانا مع بعض التعليل والتفصيل ويظهر ذلك فى ابرازه لسرقات بعض الشعراء كما فعل مع أبى العتاهية . كما تتجلى آراؤه أيضا عندما يشرح فى أحيان قليلة بعض الابيات المستغلقة المعنى .

ومن الملاحظ ان المؤلف لا يخفى ميله لبعض الشخصيات التى يترجم لها ، ونفوره من البعض الآخر . ومن أمثلة ذلك ميله مع جرير ونفوره من الاخطل .

---

(16) مثل ترجمة حماد عجرد (ص 81) والزانكى (ص 93) .
(17) مثل ترجمة ابن الخطيب التى جاءت فى اربع عشرة صفحة (ص 300 - 313) .

وقد دفعه حبه الشديد لآل البيت الى ان يكيل الثناء للكميت ويصب جام غضبه على أحد أعدائهم وأعداء الكميت وهو خالد بن عبد الله القسرى والى العراق ، وذلك فى عبارات شديدة من مثل قوله : « ومن خبثه وعتوه أخزاه الله ولعنه لعنا كثيرا أنه كان يصعد على منبر الكوفة ويصرح بلعن على بن أبى طالب (ض) فيسميه باسمه واسم أبيه وجده » .

وأخيرا فان من مزايا ترجمته للشعراء خلوها من الاستطراد الا فى النادر القليل (18) . وهذا يدل على أن المؤلف وضع لنفسه تصميما ظل حريصا على اتباعه .

قيمة الكتاب والفائدة من تحقيقه ونشره (19) :

لا تتضح قيمة هذا الكتاب الا اذا عرفنا ــ ولو بايجاز شديد ــ نوع الثقافة التى كانت سائدة فى عهد المؤلف ، وهو القرن الثانى عشر الهجرى .

ان الثقافة التى كانت رائجة فى هذا القرن فى المغرب هى ثقافة تعتمد أساسا على دراسة الفقه والحديث والتفسير والتصوف والمنطق وعلم الكلام والنحو والبلاغة وما يتفرع عن هذه العلوم .

أما الادب بمعناه الخالص ، فقد كان الاهتمام به ياتى فى المرتبة الثانية ولهذا نجد ان اكثر المؤلفات التى ألفت فى هذا القرن ذات طابع فقهى دينى (20) ، وحتى الرحلات التى ألفت فى هذا العصر كان أغلبها رحلات حجازية (21) .

---

(18) مثل استطراد المؤلف فى ترجمة بشار عندما انتقل للحديث عن واصل بن عطاء أو عندما استطرد للحديث عن موسى الكاظم أثناء ترجمته لابى نواس .

(19) اشتغل بتحقيقه ولكن تنقصنى نسخة المؤلف التى أسعى للحصول عليها.

(20) للتأكد من ذلك يكفى القاء نظره على قائمة الكتب التى ألفت فى هذا العهد والتى أوردها الاستاذ عبد الله كنون فى كتابه (النبوغ المغربى) ج 1 ص 310 ــ 320 ط 3 . سنة 1975 بيروت . وقد أكد هذه القضية الاستاذ محمد الشاذلى النيفر فى بحثه الذى نشره بجريدة العمل التونسيةبتاريخ 26 يوليوز 1968 .

(21) الاستاذ محمد الفاسى ــ دعوة الحق يناير 1959 ص 22 .

وبالرغم من ذلك فان هذا العصر عرف أدباء كبارا مشهورين أو بعبارة أدق ، عرف فقهاء برزوا فى ميدان الادب ، مثل ابن زاكور (ت 1120 هـ) وابن الطيب العلمى (ت 1134 هـ) وعلى مصباح الزرويلى (ت 1150 هـ) ومحمد الافرانى (ت 1153 هـ) ، ومحمد بن الطيب الشرقى (ت 1170 هـ) وغيرهم .

واذا حاولنا ان نعرف الكتب الادبية التى كانت تدرس آنذاك فانه يمكن القول اعتمادا على كتاب (نفحات الشباب) وهو لمؤلف مجهول من القرن الثانى عشر ، ان الكتب التى كانت تدرس فى سوس هى « مقامات الحريرى ومعلقات الشعراء الجاهليين وحماسة ابى تمام والحماسة المغربية وعدد وافر من دواوين الشعراء كالمتنبى والبحترى وأبى تمام وجرير والفرزدق والاخطل وأبى نواس وبشار ومسلم بن الوليد » (22) .

وأما فى جامعة القرويين بفاس وغيرها من مناطق المغرب الوسطى والشمالية فيبدو أن الاهتمام كان منصبا على المؤلفات الادبية التى أنشئت فى عصر الانحطاط والتى يطغى عليها السجع والمحسنات البديعية والتكلف . ولعل هذا هو السبب الذى دفع السلطان محمد بن عبد الله ، الذى يعد من كبار العلماء(23) فى القرن الثانى عشر للهجرة ، الى وضع برنامج دراسى لجامعة القرويين ، أوصى فيه بدراسة « سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذا كتب النحو كالتسهيل والألفية .. والبيان بالايضاح والمطول . وكتب التصريف ، وديوان الشعراء الستة ومقامات الحريرى والقاموس ولسان العرب وأمثالهما مما يعين على فهم كلام العرب » (24) .

من خلال النصين السابقين يتضح ان كتاب (الكوكب الثاقب) قد حقق ، باعتماده على أمهات الكتب الادبية القديمة وبترجمته لكثير من الشعراء القدماء والمحدثين ، ما كان يصبو اليه الناس فى عصره من دراسة للكتب الادبية الاصيلة ، ومن دراسة لشعر الشعراء القدماء والمحدثين .

---

(22) الدكتور محمد الاخضر : الحياة الادبية فى المغرب على عهد الدولة العلوية ص 150 ط . 1977 الدار البيضاء .

(23) له مؤلفات فى الحديث والفقه والادب المرجع السابق حاشية 1 ص 271 .

(24) المرجع السابق ص 272 .

وتتجلى قيمة كتاب (الكوكب الثاقب) فى أن صاحبه ألفه اعتمادا على دراساته وقراءاته المتكررة لعدد كبير من المصادر الادبية القديمة والقريبة من عصره . وقد امتدت هذه الدراسة حسب قول المؤلف نفسه (25) ، من فترة الشباب الى زمن الشيخوخة حيث أخذ يجمع ما سجله سابقا من معلومات وأخبار وتراجم ليؤلف منها كتابه هذا . فهو اذن جهد العمر كله .

وتتجلى قيمة هذا الكتاب من جهة أخرى فى ان السلطان محمد بن عبد الله — وهو العالم الذى عرف بتكليف العلماء المختصين بالتأليف فى مادة اختصاصهم (26) — أمر مؤلفه « بتنقيح » كتاب الاغانى و «تصحيحه» و «تجديد تبويبه » ، كما مر معنا سابقا . ولا شك أن ذلك كان بعد اطلاعه على كتاب (الكوكب الثاقب) وبعد أن رأى حسن اطلاع المؤلف وجودة فهمه لكتاب الاغانى وحسن اختياراته منه .

وتبرز قيمة هذا الكتاب أيضا فى أنه أهم كتاب ألف فى هذا العصر من حيث عدد الشعراء الذين ترجم لهم (129 شاعرا) ومن حيث اتساع الرقعة المكانية والزمانية التى ينتمى اليها هؤلاء الشعراء ، فقد بدأ المؤلف بشعراء العصر الاسلامى (القرن الاول الهجرى) ووقف عند ابن الخطيب فى أواخر القرن الثامن الهجرى . وهكذا ترجم لكثير من شعر المشرق والاندلس والمغرب .

وهذا النوع من الكتب الذى يهتم بايراد عدد كبير من تراجم الشعراء مع شمولها لاقطار عربية متعددة فى فترة زمنية طويلة يعد قليلا جدا عندنا فى تاريخ التأليف فى الادب العربى قديما وحديثا .

وتبرز قيمة الكتاب أيضا فى ان صاحبه لم يقتصر اهتمامه على الشعراء الكبار المشهورين وانما اهتم بكثير من الشعراء المغمورين والمقلين على عكس كثير من المؤلفين .

من كل ما تقدم يتبين ان تحقيق هذا الكتاب ونشره ستكون له فائدة كبيرة لأنه سيحيى أثرا مغربيا قيما جمع فيه صاحبه كثيرا من شعراء الوطن العربى، وترجم لهم وعرف بهم واختار لهم منتخبات من اشعارهم الجيدة وصاغ ذلك

(25) مقدمة مخطوط (الكوكب الثاقب) .
(26) الدكتور محمد الاخضر .. المرجع السابق ص 271 .

في قالب جميل . وقد ظل مؤلفه مغمورا مجهولا ، اذ لم نعرف له ترجمة في أي كتاب من الكتب المطبوعة او المخطوطة برغم البحث وسؤال أهل الاختصاص ، فلم نجد له ذكرا عند بروكلمان ولا عند الزركلي ولا في كتاب من كتب الادب التي صدرت في المغرب — وتيسر الاطلاع عليها — أو في تونس (27) . وكل ما نعرفه عنه هو ما ورد في مقدمة كتابيه (الكوكب الثاقب) و (ادراك الاماني).

لكل هذه الاعتبارات عزمت على تحقيق هذا الكتاب ونشره وشرعت في ذلك من أجل أن نرد بعض الدين والحق لاحد أدبائنا المغموط حقهم .

وصف المخطوطات المعروفة من هذا الكتاب :

تمكنت بعد البحث من معرفة وجود خمس نسخ من هذا المخطوط وهي كما يلي :

1 — نسخة كتبها المؤلف بيده . وذكر الاستاذ الباحث محمد الشاذلي النيفر أنه رآها في تونس عند أحد احفاد المؤلف وهي في 566 صفحة (28) . وانني أرغب رغبة ملحة في معرفة عنوان الحفيد الذي يملك هذه النسخة وقد رجوت الاستاذ الشاذلي أن يمدني بعنوانه مرات عديدة ولكني لم أتوصل للاسف بأي جواب .

2 — نسخة موجودة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة وهي « بقلم مغربي كتبت سنة 1177 هـ أولها محلى بالذهب والالوان في 204 ورقة وفي كل صفحة منها 29 سطرا ، رقمها 4845 أدب » (29) .

3 — النسخة الثالثة موجودة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 925 وقد كتبت سنة 1209 هـ وهي من الحجم الكبير ، وفي كل صفحة منها 27

---

(27) ذكر الاستاذ الشاذلي في مقاله السابق ان المؤرخين تجاهلوا المؤلف ولم يترجموا له برغم استفادة بعض المؤلفين من كتابه . وذكر ان هناك اشارة عابرة عنه في كتاب (اتحاف اهل الزمان) لابن ابي الضياف عند الحديث عن أحد احفاده ج 8 ص 130 — تونس 1966 .

(28) جريدة (العمل) 26 يوليوز 1968 .

(29) مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 3 ج 2 نوفمبر 1957 ص 215 .

سطرا وعدد صفحاتها 431 ، وأولها محلى بالذهب ، وهى بخط مغـربى لا بأس به ، وهذه النسخة هى التى اعتمدت عليها فى كتابة هذه المقدمة كما أعتمد عليها فى التحقيق فى انتظار الحصول على النسخة الاولى ان أمكن او النسخة الثانية .

4 ـ النسخة الرابعة المعروفة ، توجد فى مكتبة الاستاذ الشاذلى محمد النيفر، وهى أيضا بقلم مغربى ، وقد كتبت سنة 1276 هـ فى 285 ورقة (30) .

5 ـ النسخة الخامسة فى ملك أحد الاساتذة باڭادير وقد تقدم بها فى سنة 1976 لنيل جائزة الحسن الثانى للمخطوطات ، وهى نسخة مبتورة مـن الاخير ، ويقدر القسم الضائع منها بأكثر من النصف بقليـل ، اذ أن آخر ترجمة وردت فيها هى ترجمة السلامى . ولا يعرف تاريـخ نسخها وخطها لا بأس به .

وقد ذكر الاستاذ الشاذلى ان هناك نسخا مخطوطة كثيرة مـن هذا الكتاب فى خزائن تونس ولكنه لم يذكر أماكنها .

عبد الله الياسمى (*)

استاذ بثانوية ابن الخطيب سلا

(*) وهذا عنوان الطالب : عبد الله الياسمى ، مجموعة البساتين رقم : 9 ، تابريكت ، سلا ، المغرب .

(30) فهرس المخطوطات المصورة الجزء 2 القسم 3 ص 248 .

قراءات سريعة

★ « رعشة حلم » : إبداع لنعيمة الصيد (الدار التونسية للنشر ماى 1982) . كتيب صغير فى حجمه لكنه بديع فى اخراجه وجوهره وما كدت أتصفحه حتى تذكرت ... وتذكرت سفرة كنا قمنا بها الى القيروان مع وفد لكتاب ومفكرين وشعراء عرب فأخذت نعيمة تقرأ على أول أو ثانى ابداعاتها وكان لونا جديدا وغريبا فى آن واحد لا هو بالنثر ولا هو بالشعر وان كان الى الشعر أقرب وألصق ولا هو بالكلام ولا هو بالصمت وان كان الى الهمس والرعشة أشبه وكانت نعيمة تلتمس منى رأيى لعلها تتحسس فيه اشارة استحسان أو على الاقل بادرة مباركة وتشجيع لم أبخل عليها بهما لكن فى تحفظ واتزان لسببين اثنين : أولهما أننى وجدت نفسى أمام لون جديد من الشعور والتفكير وحتى التعبير لا يمكن ابداء الرأى فيه سريعا ، وثانيهما أنى كنت أخاف لو أبديت رأيى صادقا أن يركب نعيمة الغرور فيقعد بها عن مواصلة مسيرة الابداع .

نعيمة امرأة لا ككل النساء فهى لا ترضى بما كانت جل النساء يرضين به فهى على ما هى عليه من ارهاق احساسية ا.رأة وشديد التعلق بأنوثتها ثائرة عاصف الثورة على حالة المرأة المزرية :

« أنا امرأة تحاصرنى العيون الملأى بالزيف
وكلمات القهر ترغو بالزبد الآثم من حولى
لكن قلبى ما زال يصرخ فى وجه الريح ... الاعصار » (ص 14) .
أحلم بالاعصار
يستل بذور القهر من أعماق المظلوم ...
يمزق ستار زيف الطهر ... المزعوم ...
يلعن يحرق الوجوه العاثرة ... الكافرة ... (ص 22) .

تلك الاميرة الاغلبية المسكونة بنار الدهشة المحصورة بالعشق ذات العنق المتدلى بذروة العشق تلك المهرة الاغلبية الدائمة الصهيل لا تغتر أيها القارىء

بعريها فى نهر الشهوة فعبثا تحاول أن تجد لها مركبات فهى ضنينة بكـرامة أنوثتها ثائرة على الجـدب والقحط والحـزن والوجـع تقـف نخلـة فى وجـه الشمس ... تتحدى الكل ... (العري فى نهر الشهوة ص 26) وتنتظر ... تنتظر أن تمنح الحرية بعد أن منحت الحياة (عنقـى العنقـود يتـدلى بـذروة العشق ص 30) .

وما أصدق تشخيص نعيمة لحالة المرأة قبلا فى عهد جدتها ولربما أمها تلك الحالة التى لا يعرفها ولا يتصورها شباب اليوم عندما كانت النسوة لا يتطلعن الى النور الا من وراء ثقوب الجدران والشبابيك وقضبان الحديد عندمـا كانت الابواب العتيقة يوصدها من ورائهن بألف قفل ظلم الطغاة (صهيـل المـرأة الاغلبية ص 35) حين كانت المرأة ترزح تحت رعب الاعوام الحجرية (إيمـاضة ضوء ... ص 38) تائهة فى ظلمة أزقة الغربة الضيقة (رأسى يحتمى بمقصلة الجنوب ص 41) سجينة دنيا الرجعيين الملطخة بجنون العهر دنيا شيخ القبيلة المكبوت (رحلة المحارات الحبلى بالنجوم ص 55) .

ثم ما الذنب فى أن تظمأ نعيمة المرأة الى الحنان الى الحـب الى العشـق ألم يخلقها الله فى ميدانها هذا تروض الاقمار وتنسج من كبدهـا إكليـل زهـر تضعه تاجا على ذاكرة الايام (نزيف الشفق ص 66) .

ونعيمة امرأة محمولة على صهوة موجة عاتية ترغـو ... امـرأة موهـوبة وقوراً .. للنار التى تحرق وتحترق ... فماضيها لا ينتهى ومستقبلها يبدأ مع كل توهج وجسدها خمائل من نور ... صنعت منه قبة قضية ... فوق مدينة العشق (صهيل المرأة الاغلبية ص 36) فى حل عرس السماء .

وهكذا تبدو « رعشة حلم » ـ على حد قول الاستاذ محمد مزالى فى المقدمة ـ « صرخة امرأة تتوق الى المطلق وتنشد الكمال عن طريق الحب فتبنى علاقتها الالاهية نارا تبدد ثلج الضياع » .

وختاما يكفى نعيمة الصيد فخرا أن يقدم لها الاستاذ محمد مـزالى ويكفى مجلة « الفكر » اعترافا بالجميل أن تهدى لها نعيمة الصيد رعشة حلمها .

فلتواصل اذن نعيمة هذا الابداع الذى هو فريد من نوعه فى الادب العربى عامة والنسائى منه خاصة والذى سيكون له فى رأينا شأن وأى شأن .

★ صدر للاخ رشيد الذوادى كتاب « إشارات أدبية » جمع فيه جل مـا نشر من مقالات ودراسات أدبيـة أو تاريخيـة خـاصة بالادب فى « بـلادى

الثقافية » و « جريدة الادباء » (لجريدة الصباح) و « العمل الثقافى » من أوت 1980 الى جانفى 1982 .

والمواضيع التى يتناولها رشيد الذوادى متنوعة وحساسة من « مهمة الكاتب » الى « خصائص الشعر » الى « القصص الشعبى » أو « أدب الاطفال » الى التعريف بجماعات الادباء « كجماعة الديوان » أو « أبولو بمصر » و « جماعة تحت السور » و « تحت الدربوز » و « جماعة القلم الجديد بتونس » .

ويختم رشيد الذوادى كتابه بجولة فى الصالونات الادبية العربية قديمها وحديثها .

كتاب مفيد جدا للشبان من الادباء للتعرف على كثير من نواحى الحركة الادبية العربية شرقا وغربا .

فنشكر الاخ الذوادى على عمله هذا ونتمنى منه المزيد من هذا النوع من العطاء .

★ صدر عن الدار العربية للكتاب بتاريخ جانفى 1982 كتاب « **عرفة الشابى** » للاستاذ على الشابى وقد خصص المؤلف كتابه هذا لدراسة شخصية بطل النضال الوطنى فى القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى الذى قدر على كبح جماح القبائل الافريقية بعد طول ثورتها بتربيته وارشاده فوحدها بعد تشتت وأعاد لها هويتها بعد قرون من التردد والتيه واتخذ منها قوة ضاربة وقفت فى وجه الحسن الحفصى وشارل الخامس والعثمانيين معا وحاربتهم حربا لا هوادة فيها لتخليص افريقيا من الاحتلال والانحلال وانتصر عليهم مذيقهم مر الهزائم فقضى بذلك على خيانة الحسن الحفصى وصلف الصليب وأطماع الخلافة العثمانية .

ويشتمل الكتاب على ثلاثة فصول : الفصل الاول فى سيرة عرفة الشابى ومكانته فى عصره ـ والثانى فى نضاله من أجل استقلال افريقيا ـ والفصل الثالث فى أصول تصوفه والتعريف بالطريقة الشابية .

ويختتم الكتاب لخمسة فهارس : للاعلام ـ للبلدان والاماكن ـ للقبائل والجماعات ـ للكتب ـ وأخيرا للمصادر والمراجع .

و « عرفة الشابى » كتاب رصين مفيد لا بد من الاطلاع عليه للتعرف على فترة هامة من تاريخ البلاد التونسية .

★ مجموعة « يا حادى الطلق » الشعرية لمحمد الامين الشريف الصادرة من « الأخلاء » فى عددها العشرين مارس 1982 .

والجدير بالذكر أن الاطار التقنى (والامين الشريف مهندس مساعد) خرج من عزلته المهنية وأخذ يساهم فى الحركة الادبية بالعطاء الشعرى الواعى فيعطف على الشعب ويتألم لبؤسه وشقائه وغبائه وجبنه ويدعوه الى التمرد على وضعه السراب الضياع كما يتعذب للانسان العربى ـ عظيما وحقيرا ـ الذى أضاء كرامته وحريته وأصبح مدفوعا الى صراع عبثى لاستحالة تحقيق الهدف الحق ونتمنى للامين الشريف مواصلة العطاء بما لا يطغى عليه هذا الحزن المبدئى والالم والتعذب المسبقين .

★ صدر العدد 21 من « الأخلاء » وهو مجموعة شعرية بعنوان : « الابحار برغم الاعصار » للشاعر الشاب رجب بن مهنى الذى عرف فى مجلة « الفكر » وشجعته بنشر آثاره وإنها لتتمنى له التوفيق وترجو أن يتبع هذه الباكورة بأعمال فنية وأدبية أخرى .

★ صدر منذ عام 1978 كتيب عن « أفلاطون والديالكتيكية » للاستاذ فتحي التريكى استاذ الفلسفة بكلية الاداب بتونس يتناول حياة أفلاطون وآثاره ثم مختلف المظاهر للديالكتيكية وينتهى بنصوص مختارة من مؤلفات أفلاطون فى الخطابة والسفسطة والمعرفة والمحاكاة أو علاقة المثل بعالم المحسوسات .

فشكرا للاستاذ فتحى التريكى على عمله هذا الذى يكون خير معين خاصة لطلبة الفلسفة ـ برفع النقاب عن بعض المشاكل التى تطرحها الديالكتيكية الافلاطونية ـ والذى يثرى المكتبة الفلسفية التونسية والعربية .

★ صدر لعبد نعمان باللغة الفرنسية عن دار نعمان للثقافة كتاب « الموت وكامو » وهى محاولة أدبية فى توضيح المذهب الفلسفى الكاموسى تضاف الى الاعمال العديدة جدا التى تكاد لا تحصى عن فلسفة كامو والكتاب مرفوق بمحاولة حصر الآثار التى خصصت لكامو أو تناولت مختلف جوانبه وآثاره بالدرس والتحليل .

★ اتصلت المجلة بالمطبوعات التى صدرت فى الفترة الاخيرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خاصة فيما يتعلق بالمكتبة والتوثيق والمعلومات وتتضمن :

ـ نظم المكتبة المبنية على الحاسب الالكترونى .

ـ التقنين الدولى للوصف الببليوغرافى للدوريات .

ـ الدوريات العربية ، دليل عام للصحف والمجلات العربية الجارية فى الوطن العربى .

ـ نشرة المعلومات عدد 25 (1982) .

ـ دليل الموثقين والمكتبيين فى الوطن العربى .

ـ كلمات المدير العام للمنظمة ما بين 24 ـ 1 ـ 1978 و 28 ـ 9 ـ 1980 ـ مرفق بالكشاف الموضوعى فى ألفبائى فشكرا على هذه الاعمال العظيمة التى تنجزها المنظمة العربية خدمة لتقدم التربية والثقافة والعلوم فى الوطن العربى .

★ صدر لوديع فلسطين كتاب « **قضايا الفكر فى الادب المعاصر** » وهى مجموعة مقالات فى مختلف المواضيع الادبية واللغوية والفكرية من « العامية والفصحى » الى « الشعر الحر والموزون » الى الالتزام الى « أزمة الطباعة » و « أزمة الكتاب العربى » الى « الترجمة » الى « الضاد » الى « المصطلحات العلمية » وغيرها من المسائل الكثيرة الهامة التى لها وثيق الصلة بالحركة الادبية والفكرية .

كتيب موفق مفيد للتعرف على أحوال الادب العربى المعاصر .

★ صدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت فى سلسلة « عالم المعرفة » كتاب للدكتور جليل أبى الحب عن « الحشرات الناقلة

للامراض » يتناول الحشرات والمفصليات الاخرى وطريقة نقلهـا للامراض ثـم يتطرق الى مقاومتها بالطرق العلمية الحديثة أى باستعمال المبيدات وما يترتب عنها من تلوث مع الاشارة أيضا الى المكافحة الحيوية الطبيعية عن طريق الاعداء الطبيعيين للبعوض والحشرات .

★ صدر عن دار الرشيد للنشر من منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية فى سلسلة ديوان الشعـر العربى الجـديث (عدد 153) مختـارات للشـاعر التونسى الميدانى بن صالح تحت عنوان : « الصـوت الخـالد » وهى مجموعة قصائد نشرت قبلا فى دواوين مختلفة يعود تاريخها كلها ـ إلا اثنتين منها ـ الى ما بين سنة 1963 وسنة 1967 .

تهانينا الى صديقنا الشاعر بهذا الديوان الجديد الملتزم .

محسن بن حميده

آخر ما ظهر فى دنيا الشعر العربى بتونس

أفكـار	**جعفر ماجد**
الابحار برغم الاعصار	**رجب بن مهني**
ألـواح	**المنصف الوهايبي**
وطن فى قلبه .. وامرأة	**المولدي فروج**
همسات الى الزمن الهارب	**البشير المشرفي**

أضواء الفكر

● وزارة الثقافة تقرر تأجيل المهرجانات الصيفية :

تعاطفا مع الشعبين الفلسطيني واللبناني أصدرت وزارة الشؤون الثقافية بلاغا لتأجيل المهرجانات الصيفية جاء فيه ما يلي :

نظرا الى ان اخواننا يعانون الآن أشد محنة في نضالهم من أجل البقاء واسترجاع وطنهم السليب فتزهق ارواحهم وتسيل دماؤهم من جراء العدوان الصهيوني العنصري الذي يستهدف ابادة الشعب الفلسطيني دونما تحرج من تقتيل جماعي للمدنيين العزل أطفالا ونساء وشيوخا في المدن والقرى اللبنانية وفي المخيمات الفلسطينية .

وتعاطفا مع الشعبين الفلسطيني واللبناني في محنتهما فان وزارة الشؤون الثقافية قررت تأجيل الاحتفالات التي تضمنتها المهرجانات الصيفية دولية كانت أو جهوية أم محلية .

● مزالي يهنىء الكشافة بعيدها الخمسين :

حيا السيد محمد مزالي الوزير الاول الحركة الكشفية بمناسبة الاحتفال بعيدها الخمسين ووجه الى القائد العام للكشافة التهنئة الرقيقة التالية :

تلقيت بكامل السرور لطيف دعوتكم لحضور حفل الاستقبال الذي ينتظم بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحركة الكشفية بتونس ، والذكرى الخامسة والسبعين لتأسيس الحركة الكشفية بالعالم .

وبهذه المناسبة يسعدني ان اشكركم على ما قامت به الحركة الكشفية من نشاطات في سبيل نشر وعي تربوي خلاق ، وصقل مواهب الناشئة ، وتعميق الشعور الوطني السليم والعمل لصالح الغير والتفاني في خدمة الوطن .

وكم كنت أود مشاركتكم هذا الاحتفال لولا وجودي ساعتها خارج أرض الوطن على أني اغتنم هذه الفرصة لاشيد بما تبذلونه من جهد لضمان استمرارية الحركة الكشفية ومواصلة تنشيطها ولتمكين الكشاف التونسي من تحمل دوره الرائد من جديد وطنيا وعربيا وعالميا بما يتلاءم مع وزن تونس واشعاعها في محيطها العالمي .

وختاما أقدم لكم ولاعضاء القيادة وكافة العائلة الكشفية أحر التهاني القلبية ، متمنيا للكشافة التونسية اطراد التقدم والتوفيق في رسالتها الرامية الى تكوين اجيال تونسية اصيلة متعلقة بوطنها معتزة بانتمائها الثقافي والحضاري وفية لتونس الخالدة . والسلام .

وقد ألقى بهذه المناسبة الشاعر : **محمد بن صابر** قصيدته التالية التي عنوانها : « **خمسينية الكشافة التونسية** »

نور يلوح بمفرق الخضراء ويجر ذيل التيه والخيلاء
فتن القلوب جماله متلطفا وسرى بها في رقة الايحاء
قيم سمت بالنفس من ملك الى ملكوت روح سابغ النعماء
من أسرة شدت أواصر ودها في العالمين بصفو صدق إخاء
فيها يشب الطفل في كنف الهدى ومكارم جازت مدى الاحصاء
وشمائل قد فاق حلو قطوفها عذب الوصال بمعزل الرقباء
أمسى لها الايمان تاجا قد حكى بدرا بدا في الليلة الليلاء
حب تعاظم يغمر الوطن العزيـ ـز مكللا بجميل عهد وفاء
والخير رائدهم فبورك سعيهم نحو العلى بعزيمة وإباء
ساروا على النهج القويم مبايعيـ ـن ولي أمر منهمو بولاء
الصالحون تراهمو في قومهم قد انفقوا أرواحهم بسخاء
كشاف تونس كان سباقا الى ساح الوغى وازاحة الدخلاء
تسمو به الاخلاق حتى لم يعد إلا معين تكرم وفداء
الوقت يمضي في اكتساب معارف ومراتب ومغانم وبناء
بشجاعة الابطال تحدوها الفرا سة حليت بمروءة النبلاء
يا خير مدرسة أعدت للحيا ة النشء في رغد وعيش هناء
فيها كتاب الكون مفتوح الصحا ئف بهجة النظار والقراء
من كل سر في الطبيعة ساحر ومن البحار لجنة غناء
لمخيمات في الوهاد وفي النجا د وفي أعالي القمة الشماء

كشافة قومية منها الفحو   ل بقطرنا هم خيرة الابناء
هذا الرئيس عميدها فى عالم   قد خصه بشذى عرف ثناء
يشدو بما أسدى وما أمسى له   ذكر يرده مدى الآناء
ومضت تسير على هداه لا تنى   عن مدحه بالشكر للآلاء
خمسون عاما كالنجوم تألقت   بالمجد يغرى حسنها بسناء
لو قدرت تلك الايادى جاوزت   حقبا وقد شذت عن الايفاء
فتهاطل الافضال فى البلد الامي   ن وأينعت جناته بنماء
وتوطدت بين الشعوب عرى التلا   حم فانضوت كالعقد تحت لواء
دامت لنا كشافة الاحرار فى   عز الذرى بتقدم ورخاء
هذا امتنان مقصر فى حقها   فالله يجزيها بخير جزاء

● المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات :

صادق مجلس الوزراء أخيرا على مشروع القانون المتعلق باحداث « المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات » والصادر عن وزارة الشؤون الثقافية بتونس .

وتتمتع هذه المؤسسة بالشخصية المدنية والاستقلال المالى وتخضع لاشراف وزير الشؤون الثقافية ولمقتضيات القوانين التجارية فيما لم يقع استثناؤه بهذا القانون وعين مقرها بتونس العاصمة أو أحوازها ۰

وبصفتها مؤسسة عمومية ذات صبغة ثقافية فانها تقوم بكل أعمال التفكير والدرس والابتكارات المتعلقة بميدان الآداب والعلوم والفنون وبكل المهام التى يقتضيها العمل الثقافى والفنى فهى :

- تساعد على تحقيق الاشعاع الفكرى والفنى .
- تسعى الى ترويج الحلق الفكرى والفنى ۰
- تساهم فى التنشيط الثقافى
- تشارك فى صيانة التراث واثرائه وابرازه
- تنظم حركة الترجمة من العربية واليها وتنميها
- توجه وتنشط الدراسات والبحوث قصد التحقيق العلمى للنصوص ۰
- تنمى نشر الاعمال الادبية والفنية

ـ تدعم الحوار بين الحضارات .

وتشتمل هذه المؤسسة على أقسام عديدة منها :

المعهد الوطني للترجمة الادبية والعلمية .

معهد التاريخ ودراسة النصوص .

فريق العمل والدراسات من أجل الاشعاع الثقافي التونسي

وانه لمشروع ضخم ينتظر العمل الجاد لتكون تونس في مستوى الرسالة الثقافية الحضارية المناطة بعهدتها .

● **حماية الهياكل الاساسية الثقابية :**

في نطاق العمل الجاد الذي تقوم به وزارة الشؤون الثقافية لاعطاء الثقافة دورا حيويا ضمن الدورة الاقتصادية للبلاد التونسية صادق مجلس الـوزراء على مشروع قانون يتركب من اثني عشر فصلا تحت ثلاثة أبواب :

1) مكانة التجهيزات الثقافية في المدينة وفي الريف .

2) اعانة الدولة لتشييد التجهيزات الثقافية .

3) احصاء العقارات الثقافية وحمايتها والحفاظ عليها وقد جاء فيها ما يلي

● ينبغي ان تشمل الامثلة الرئيسية للمدن والتهيئة الريفية المساحـات اللازمة للهياكل الاساسية الثقافية والمقصود من الهياكل الثقافية هو التجهيزات التابعة لمنظمات او جماعات او مؤسسات تشرف عليها الوزارات المعنية والغاية منها ممارسة مختلف الانشطة الثقافية .

● يجب ا نتشمل أية مجموعة بناءات جديدة عند انجازها سواء كانت حيا سكنيا أو قرية أو بلدة على تجهيز ثقافي وذلك طبقـا لقـواعد التجهيـز المعمول بها .

كما يجب على المؤسسات الاقتصادية ان تضع على ذمة مستخدميها تجهيزات ثقافية ويمكن لهذه المؤسسات ان تتجمع فيما بينها لتكون جمعيات تتولى انجاز التجهيزات الثقافية المذكورة وتسييرها وتعهدها .

ويعتبر هذا القانون المتعلق بالهياكل الاساسية الثقافية ثورة بحـق عـلى الذهنية التي لا تعير للثقافة وزنا ولا تجعل منها منطلقا واعيا من أجل التغيير والتطوير والتقدم الذي تكون الثقافة له منطلقا واعدا بعطاءات حضارية هامة اذ الثورة الثقافية هي أم الثورات البناءة .

● « الفكر » فى « المصير الديمقراطى » :

فى ركن ملاحقات ثقافية من مجلة « المصير الديمقراطى » فى عددها الثامن عشر ماى 1982 نشرت كامل « الافتتاحية » التى كتبهـا بعنـوان : « **الادب التونسى فى الوطن العربى** » الاستاذ البشير بن سلامه لمجلـة « **الفكـر** » فى عددها السادس ، مارس 1982 ، بعد أن قدمت لها بما يلى :

☐ نشرت مجلة « الفكر » التونسية فى عددها الصادر فى اذار (مارس) 1982 ، مقالا لرئيس تحريرها : « البشيـر بن سـلامة » ، بعنوان : « الادب التونسى فى الوطن العربى » ، عالج فيه كاتبه موضوع عـدم وصول الادب التونسى ، بصورة مقبولة ، الى القارىء العربى عمومـا ، والمشـرقى بصفـة خـاصة .

وقد حاول « البشيـر بن سـلامة » تلمس الاسبـاب التى جعلـت الادب التونسى غير معروف ، بما فيه الكفاية ، من القراء العرب . ودعا الى « اعمال الرأى فى هذا الموضوع واعانتنا ، بالفكرة والنصيحة ، على الخـروج من هذه الهنة التى لا تفيدنا فى شىء ، وتضر بمصالحنا جميعا ، ولا تقرب بيننـا ؛ اذ يبقى الادب هو الصلة الكبيرة بيننا جميعا والمزيل لكل الحواجـز التى بنتهـا عصور الانحطاط وزادها الاستعمار من الترسبات طبقات كثيفة » .

☐ ولا بد من الاشارة الى ان مقال السيد « البشير بن سلامة » قد انطلـق من جملة ملاحظات كنا اوردناها فى مقال نقدي حاولنا فيه التعريف بمجلـة « الفكر » (راجع : المصير الديمقراطى ، شباط 1982) . ويبدو ان رئيس تحرير « الفكر » التونسية ، حينما تصدى لمعالجة عدم انتشار الادب التونسى خارج تونس ، كأن يتنكب مسؤولية جادة وحـريصة ؛ فقـدم العديـد مـن المقترحات ، وأشار الى الكثير من الاسباب . ونحن بدورنا ، بانتظار ان نتمكن من اعداد ملف خاص عن الادب التونسى والمغربى والجزائرى ، نعيد نشر مقال السيد « البشير بن سلامة » كاملا لاهميته ، ولاهمية الملاحظات الواردة .

● كـل شـيء يشهـق :

هذا عنوان أول مجموعة قصصية للاديب الناصر التومي صدرت أخيرا من « الأخلاء » العدد : 22 ـ السنة : 4 ـ جوان 1982 وتضم 104 صفحة من القطع الظريف.

تحتوى هذه المجموعة على 14 قصة تحمل العناوين التالية : كل شيء يشهق ـ إصرار ـ العطاء ـ الانتحار ـ متفجرات ترقص ـ حب وصمت وفراغ وقمر أحمر ـ طريد غابة السيقان ـ الخسوف ـ الفراش الشاغر ـ عصر الجنون ـ الضياع ـ الصنف ـ السقوط ـ شيء من آلام البشر .

وقد جاء في القراءة المدخلية التى كتبها الشاعر حميده الصولى قوله :

« قد يشعر القارىء أن هذه القصة أو تلك لم تصل الى نهايتها .. وأنه من الممكن أن تضاف لها أحداث أو مشاهد .. وهنا وفق صاحب المجموعة الناصر التومي في محاولة تشريك القارىء في الكتابة القصصية .. ونحن نعلم أنه يكفي أن يضع هذا القارىء أو ذاك نقطة استفهام أو ملاحظة أو سؤالا كبيرا لتصبح القصة ناجحة أو أى عمل ابداعى آخر ، فالسؤال نصف الجواب حسب القاعدة البيداغوجية .

وقصص الناصر التومي لا تخرج بك عن محيطك .. انه يدين التجاوزات والشذوذ والظواهر السلبية مهما كان مصدرها .. ولعله بذلك تجاوز دائرة التقليد الفردى للعطاءات الادبية الغائمة التى تدعى السباحة فى عالم أكبر من القارىء » .

أما الصديق صالح الحاجه فيقول عن الناصر التومي وكتاباته :

« ... عرفته قارئا نهما ، وكنت أشفق عليه من الكد والجهد والسهر ، فهو يجمع بين العمل فى الادارة والقراءة الجادة المتصلة ، ثم إنه كان يحاول أن يكتب المسرحية ، وقد جرب وكتب الكثير .. وكان يعطينا ما يكتب ، فنقرأ فلا نجد فيما يكتب الا بعض بذور الموهبة المتأصلة ، وقد ظل على هذه الحال سنوات عديدة .. وهو يكتب بلا ملل ، ونحن نقرأ فلا نكل ولا نتبرم ... »

نشكر الصديق الناصر التومي على النسخة التي وصلت الى مجلة « الفكر » هدية منه لنا ونرجو له دوام العطاء الادبي الرائع . كما نرجو أن نرى قريبا روايته : « **ليالي القمر والرماد** » التي تحصل بها على جائزة بلدية تونس سنة 1979 ... تطبع وتنشر في كتاب ينضم الى مجموعته القصصية هذه « **كل شيء يشهق** » .

● الحدث العربي :

وصلنا العدد الثاني من مجلة جديدة تحمل اسم « الحدث العربي » وتصدر نصف شهرية جامعة . وقد جاء في كلمة العدد ما يلي : « موقفنا ينبجس من الارادة العربية وآمالنا تقف عند تخوم المصلحة العليا والمصير المشترك ... » .

ومن بين العناوين التي يضمها هذا العدد نقرأ : الوطن **العربي العملاق النائم** – متى ينتهي المخاض – هل نحن اليوم **خير أمة اخرجت للناس ؟!** – **الاقتصاد العربي** غني بموارده ضعيف بهياكله – خطاب أفريل **هو المنطق** – أخبار الثقافة – البيئة والنمو والتخطيط – أزمة الشعر العربي – وفي ركن رجال وتاريخ نقرأ دراسة عنوانها : أبو الحسن الشاذلي – **اتفاقية التراث العالمي** أهدافها وخلفيتها التاريخية .

مع الملاحظ أن العدد يحتوي على خمسين صفحة من القطع الكبير أملنا أن تواصل هذه المجلة الجديدة طريقها مضطلعة بمسؤوليتها في الميدان الاعلامي والثقافي الجاد .

● المهرجان الثالث للشعر بالجريد :

للمرة الثالثة تلتقي مجموعة من الشعراء التونسيين الشبان على أرض الجريد بتوزر في الاول والثاني من ماي 1982 لتقييم المهرجان الثالث للشعر العربي بالجريد الذي تنظمه جمعية النهوض بالطالب التوزري بالاشتراك مع مؤسسة « الأخلاء » .

وقد شارك في هذا الملتقى من الادباء والشعراء والنقاد جمع وحدت بينهم الرؤية الفنية والكلمة المسؤولة والحرف النابض بقضايا أمتنا العربية الاسلامية

وقد خصص اليوم الاول لامسية شعرية تناوب فيها على المصدح كل من الشعراء الصادق شرف ، حميده الصولي ، يوسف رزوقه ، المولدى فروج ، المهدى بن نصيب ، محمد علي الهاني ، محمد الامين الشريف ، علاله القنوني ، عبد الله البلطي ، عزوز الجمني ، هشام الدامرجي ، محمد الطاهر الحضرى وغيرهم من شعراء الجريد . تلتها تظاهرة موسيقية قدمتها فرقة « عشاق الارض » .

وقد كان اليوم الثاني خاصا بثلاث محاضرات القاها على التوالى كل من الاساتذة : عزوز الجمني وعمر عزالدين والصادق شرف وكانت موضوعاتها : «الشعر العربى المعاصر بين التأصيل والتهميش والالتزام بقضايا الجماهير».

الى جانب هذا النشاط الثقافى أقيم معرض للاخلاء تم فيه عرض ما يناهز عشرين عنوانا موزعة بين المجموعات الشعرية والقصصية والدراسية التى صدرت خلال سنة 1978 و 1982 .

نأمل أن تتجذر هذه التظاهرة الشعرية وتتواصل وتتسع لتصبح مهرجانا قوميا للشعر العربى يقام كل سنة على أرض الجريد مسقط رأس الشاعر التونسى الكبير أبو القاسم الشابي .

● **القصيدة القوافلية :**

نظم الشاعر عمار شعابنية قصيدة فكاهية للتندر بالسفر فى الحافلة وعنوانها « القصيدة القوافلية » نوردها كما هى :

« قم ، للقوافل ، وفها التنكيلا ... ان القوافل اصبحت زنبيلا
حدث كثيرا ان بليت برحلة ... وركبت يوما خطها المشلولا
«كاراتها» تردى الصحيح بعلة ... وهى التى تردى العليل قتيلا
ما بين ركل فى الصعود وزحمة ... ليلا وظهرا .. بكرة واصيلا
تحشى كما المرقاز فيها امة ... حشوا يقوس عرضها والطولا
علب منالسردين هذى أم ترى ... تين طرى يملأ الزنبيلا
خمس وخمسون المقاعد حددت ... فتضاعفت إذ افرطوا التكميلا

* * *

سواقها كشوا وما بشوا لنا ... فاقوا بما نخشاه عزرائيلا
مسكوا مقاودهم كأن زنودهم ... من بطشهم سيف غدا مسلولا
صم .. فلا لوم يحرك سمعهم ... بكم .. يزيد سكوتهم تنكيلا

وسيادة « الخلاص » يظهر غيظه   ويظل يرفع ساعدا مفتولا
فيهابه الركاب فى ترحالهم   وينال من ضعفائهم تبجيلا
فكأنه الحجاج بين رعية   شهر السيوف وحلل التقتيلا

* * *

اما المواعيد التى قد حبرت   اسطورة قد حللت تحليلا
لا وقت يضبط وعدها فمجيئها   مهما ضبطت ستخطىء التأويلا
يكفيك ان بخط تونس سفرة   تلغى ويبقى سرها مجهولا
فتصير كل محطة نزلا لمن   قصوا التذاكر طالبين رحيلا
اطفالهم يبكون عطشى والنسا   قد عفن حالتهن والتعطيلا
اما الشيوخ فذا يكح بركنه   والحزن ينخر جسمه المسلولا
ويقول: «ذا موتى فمن عن موتكم   فى ذى القوافل يعرف المسؤولا؟!»

● سلام على الغائبين :

رواية جديدة للقصصى اللبنانى أديب نحوى تصور فيها عبر النكسة (نكسة حزيران) الانسان العربى البسيط الذى آمن بالقتال والتضحية دفاعا عن الوطن وخرج من صلب الحارة وباضرابه العام عن الخوف والهزيمة والاستسلام لم يهزم فهو لا يزال مرفوع الرأس حديدى العزيمة مستعدا دائما الى مواصلة الصراع ونيل النصر .

رواية تفاؤلية تزيح كثيرا من الانهزامية والتشاؤمية المنبثة فى جل الآثار التى تطرقت الى نفس الموضوع .

● مهرجان أوليس :

للمرة السادسة عشرة ينتظم مهرجان « أوليس » بجزيرة جربة وامتد على مدى اسبوع كامل من 28 ماى الى 5 جوان 1982 .

وقد كان المهرجان حافلا بالتظاهرات الثقافية والسياحية والتجارية والفنية المتنوعة . ومما يذكر ان المهرجان لاول مرة يدخل فى نشاطاته مسابقة أدبية فى الشعر والقصة [وكان من المستحسن أن تكون الدراسة ضمن المسابقة]؟ وحمادى الباجى . اما مسابقة القصة فقد فاز فيها كل من لطفى الجريدى

وقد فاز بالجائزة فى الشعر كل من نور الدين فارس ورجب بن مهنى وحمادى الباجى . أما مسابقة القصة فقد فاز فيها كل من لطفى الجريرى وعلى قزم .

وأملنا أن تنتشر هذه الظاهرة ـ ظاهرة المسابقات الادبية ـ فى كل مهرجاناتنا حتى يكون للادب دور فى تنشيط الحياة الثقافية ببلادنا .